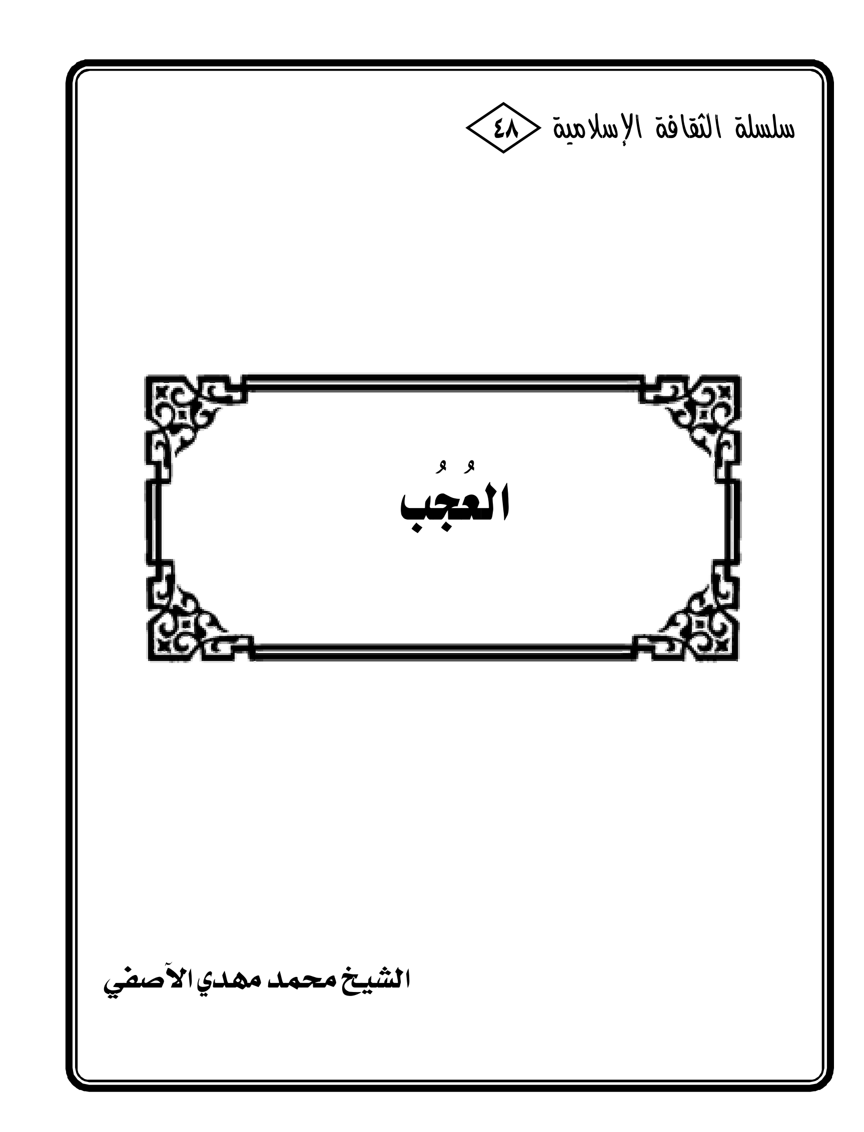


مختارات منتقاة من محاضرات ومؤلفات

الشيخ محمد مهدي الآصفي حفظه الله

اسم الكتاب: .... العُجُب

المؤلف: .... محمّد مهدي الآصفي

الطبعة الأولى: .... ١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩م

الكمية: .... ٣٠٠٠ نسخة

المطبعة: .... مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام النجف الأشرف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ
ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاة الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ
أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِه فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ
لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾

الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥

العجب

المدخل إلى البحث

من أخطر ما يصنعه الشيطان بالإنسان من مكر، هو «العجب» وذلك أن الشيطان قد يحرف الإنسان من العبادة إلى الشرك، وهذا نوع من المكر ظاهر يتمكن الإنسان من مكافحته، وقد يحوّل الشيطان العبادة نفسها إلى الشرك، وهذا هو أخطر مكر للشيطان، وقد يقطع الشيطان السبيل على الإنسان فيحوله من الإقبال على الله إلى الإِعراض عن الله وقد يحوّل الشيطان الإقبال على الله ـ نفسه ـ إلى الإعراض عن الله وهذا أخطر من الأول.

كيف يمكر الشيطان هذا المكر؟ وما هي الأداة التي يستخدمها فيحول العبادة والإقبال على الله إلى الشرك والإعراض عن الله؟ الجواب على ذلك ينطوي في كلمتي «العجب» و«الرياء».

في العجب يحجب الشيطان الإنسان عن الله بـ «الأنا»، ويجعل الأنا حجاباً بين الإنسان وبين الله، فتتحول العبادة إلى ضدها: إعراض وشرك، وفي الرياء يحجب الشيطان الإنسان عن الله بالغير، وليس بـ «الأنا»، فيجعل وجهة عمله والغاية من عمله هو «الغير»، وليس الله،

ويستدرج الإنسان من الإخلاص لله تعالى وإبتغاء مرضاته إلى إبتغاء مرضاة الآخرين وإعجابهم، فيتحول عمل الإنسان من الطاعة والإقبال على الله إلى الشرك والإعراض عن الله.

إذن من أخطر مكر الشيطان في حياة الإنسان «العجب» و«الرياء» ونحن في هذه المقالة نحاول أن نبحث عن «العجب» إنشاء الله ونتعرف على أسبابه وأعراضه وأنواعه وعلاجه من خلال القرآن الكريم.

علاقة الإنسان بنفسه

من طرائف الفكر الإسلامي تحديد علاقة الإنسان بنفسه، وهو أفق واسع في نفس الإنسان وقد تتعقد شبكة العلاقة التي تربط الإنسان بنفسه أكثر من تعقيد شبكة العلاقات الاجتماعية التي تربط الإنسان بالآخرين من أفراد أسرته وزملائه وأصدقائه ومنافسيه وأعدائه، ولكل من هاتين الشبكتين «في النفس والمجتمع» أصولها وأحكامها ومنهاجها التربوي الذي يخصها، ولعل إهتمام الإسلام بالشبكة الأُولى في علاقة الإنسان بنفسه لا تقل عن إهتمامه بالشبكة الثانية وهي علاقة الإنسان بالآخرين في المجتمع.

وللناس في العلاقة بأنفسهم أطوار مختلفة فقد تكون علاقة الإنسان

بنفسه قائمة على «السلام مع النفس» ـ كما قال المسيح بن مريم عليه السلام ـ ﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾[1].

فهذا طور من العلاقة بالنفس قائمة على السلام مع النفس.

وقد تكون علاقة الإنسان بنفسه قائمة على أساس من الظلم والعدوان، يقول تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ﴾[2].

وقد تكون علاقة الإنسان بنفسه قائمة على أساس «التفكير الذاتي بالنفس» يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ﴾[3]، وقد تكون العلاقة بالنفس قائمة على أساس مراقبة النفس، وإخضاعها للمراقبة والحساب، يقول تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لاَ يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾[4]، وقد تكون هذه العلاقة بالعكس قائمة على أساس نسيان النفس وإهمال مراقبتها، يقول تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾[5].

وهناك نماذج أخرى كثيرة لعلاقة الإنسان بنفسه، قد أولاها القرآن

---

١ ـ مريم: ٣٣.

٢ ـ هود: ١٠١.

٣ ـ الروم: ٨.

٤ ـ المائدة:١٠٥.

٥ ـ البقرة: ٤٤.

الكريم إهتماماً كبيراً، والذي يقرأ القرآن بإمعان يجد أن علاقة الإنسان بنفسه وتنظيم هذه العلاقة وتصحيحها يأخذ من كتاب الله إهتماماً كبيراً ومساحة واسعة.

ولا نريد نحن أن ندخل هذا الأفق من البحث في هذا المقال، وإنما نريد فقط أن نشير إلى أن من النماذج الخطرة لعلاقة الإنسان بنفسه هو «العجب» وهو حالة إنشداد الإنسان إلى نفسه وإعجابه الشديد بها وبأعمالها، بحيث يستأثر «الأنا» بكل إهتمامه وإعجابه، ويستأثر بكل رؤيته، فلا يرى غير نفسه وغير أعماله.

وعندما يبلغ الإنسان هذه الدرجة من الانشداد إلى الأنا يحجبه «الأنا» عن الله تعالى، فيملأ الضئيل الذي يقدمه لله تعالى من عمل وجهد وطاعة كل قلبه وإحساسه، دون أن يرى عظيم رحمة الله تعالى وفضله وجميله به.

ولو كان الإنسان ينظر إلى الأشياء نظرة سوية، ويراها بحجمها الحقيقي لاستهان بجهده وعمله وطاعته لله تعالى، وأَكْبرَ فضل الله تعالى ورحمته في حقه، واستحى من الله تعالى أن يقابل عظيم رحمته وفضله بمثل هذا الجهد الضئيل، ولكن عندما يستأثر الأنا بكل رؤيته وإهتمامه وإعجابه لا يرى إلا جهده وفعله، دون أن يرى رحمة الله

تعالى وفضله فيتحول إقباله على الله وطاعته لله بهذه الطريقة النفسية الملتوية إلى إعراض عن الله وشرك، أو كفر بالله تعالى، فإن العجب إذا دخل النفس وتمكن منها يحجب الإنسان عن الله حجباً كاملا وفي ذلك هلاك الإنسان وسقوطه التام.

عن الإمام الصادق عليه السلام: «من دخله العجب هلك»[1].

وأما في الحالات السّوية، عندما يقترن عمل الإنسان وجهده في طاعة الله تعالى بإحساس حقيقي وواضح بعجزه عن شكر الله تعالى ومقابلة إحسانه وفضله فإن عمله عند ذلك ـ على ضآلة حجمه ـ يكون جسراً يوصله إلى الله تعالى.

وقد روي عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال لبعض ولده: «يا بني عليك بالجد ولا تخرجن نفسك عن حد التقصير في عبادة الله عزّوجل وطاعته فإن الله لا يعبد حق عبادته»[2].

وعن جابر قال: «قال لي أبو جعفر عليه السلام: يا جابر لا أخرجك الله من النقص ولا التقصير»[3].

١ـ الكافي ٢: ٣١٣ح٢.

٢ـ الكافي ٢: ٧٢ح١.

٣ـ الكافي ٢: ٧٣ ح٢.

فالعمل الواحد إذن قد يؤدي بالإنسان إلى طريق الله تعالى ويقرّبه من الله، وقد يحجبه ويقطعه عن الله تعالى والفارق الرؤية، وهو أمر عظيم يستحق من الإنسان كل إهتمام.

فقد لا يختلف عمل عن عمل من حيث الحجم والوزن، ولكن أحدهما يقرب العبد إلى الله تعالى والآخر يبعده عنه تعالى.

«العجب» و«الاعتداد بالنفس» و«الأنانية»

العجب حالة واحدة من ثلاث حالات ناتجة عن إنشداد الإنسان بمحور الأنا، وهذه الحالات الثلاثة هي «العجب» و«الاعتداد بالنفس» و«الأنانية».

و«العجب» هو أن يستأثر الأنا بإعجاب الإنسان ويحجبه عن رؤية فضله تعالى ورحمته به، وفي مقابل «العجب» الشعور بالتقصير والعجز عن أداء شكره ومقابلة فضله ورحمته بالطاعة والعبادة.

والاعتداد بالنفس هي حالة أخرى من حالات الانشداد للنفس تتلخص في إعتماد النفس والثقة بالنفس، في مقابل التوكل على الله، ووضع الثقة المطلقة في الله تعالى، وهما حالتان من الاعتماد والثقة في مقام العمل.

في **الحالة الأُولى** يضع الإنسان ثقته في نفسه، ويعتمدها، وهي الحالة الانحرافية في التعامل مع النفس.

وفي **الحالة الثانية** يضع الإنسان ثقته في الله تعالى، ويعتمده في شؤونه وحياته وأعماله كلها وهي الحالة السوية في التعامل.

و**الحالة الثالثة** من حالات الانحراف النفسي في إنشداد الإنسان بنفسه هي حالة الأنانية، وهي حالة يكون فيها «الأنا» هو المحور الذي يدور حوله كل حركة الإنسان ونشاطه، ويستأثر بكل فعّالية الإنسان وتحركه. وفي مقابل هذه الحالة «الإخلاص لله» الذي يجعل من مرضاة الله تعالى محوراً لكل سعي الإنسان وحركته ونشاطه.

إذن هناك ثلاث حالات من الانشداد بالذات هي «العجب، والاعتداد بالنفس، والأنانية»، وهي حالات إنحرافية في نفس الإنسان نابعة من إنشداد الإنسان إلى نفسه، وحبه لها، وفي مقابلها حالات ثلاثة سويّة من الانشداد بالله تعالى، والتعلق به، وإيثار مرضاته على كل شيء، و«الإحساس بالتقصير والعجز من أداء شكر الله تعالى، والتوكل على الله».

أقسام العجب

قد يعجب الإنسان بنفسه وملكاته وخصاله، وقد يعجب الإنسان بأعماله، وقد تكون خصاله وملكاته التي تعجبه خصالا وملكات صالحة، وقد تكون خصالا وملكات سيئة.

فقد يعجب الإنسان بما في نفسه من رأفة ورحمة، وقد يعجب الإنسان بما في نفسه من قسوة وغلظة.

وقد تكون أعماله التي تعجبه أعمالا صالحة وحسنات، وقد تكون أعمالا فاسدة وسيئات.

فقد يعجب الظالم بظلمه وإجحافه وتعسفه بالناس، ويحسب أن ذلك من متطلبات الحزم والقوة. وهو أقبح أنواع العجب، ويصف الله تعالى في كتابه أصحاب هذه الحالة بالأخسرين أعمالا. يقول تعالى: **﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾**[١].

---

١ ـ الكهف: ١٠٣ ـ ١٠٥.

مراحل العجب

للعجب مراحل في نفس الإنسان. فقد يعجب الإنسان بنفسه وخصاله وأعماله، وتمتلئ نفسه زهواً بما عنده من خصال وأعمال، فيحجبه هذا الشعور عن رؤية فضل الله تعالى عليه ورحمته به. وإنما تحجبه خصاله ومواهبه عن الله إذا فصلها عن الله تعالى، وربطها بنفسه، كأنها أشياء تخصه، وهو صاحبها، وليس لله تعالى فيها عليه فضل. فيحجبه هذا الشعور عن الله تعالى، ويكون الأنا حجاباً للإنسان.

أما إذا كان إحساسه بنفسه وخصاله وأعماله في إمتداد إحساسه بفضل الله تعالى ورحمته، فهذا الإحساس لا يحجبه عن الله تعالى، بل يعمّق إرتباطه بالله، ويعمق ذكر الله تعالى في نفسه.

والمرحلة الأخرى من العجب أن يتجاوز الإنسان مرحلة العجب بالنفس وخصالها وأعمالها إلى مرحلة الإدلال على الله سبحانه، فيتصور الإنسان أن له بأعماله دالّة على الله تعالى وهذه مرحلة «الإدلال».

ويأتي بعد هذه المرحلة «التوقّع» من الله، فيتوقّع الإنسان من الله ألا يردّ له دعاء مثلا، أو أن لا يصيبه بسوء ومكروه، ولا يقوم هذا التوقع على أساس من حسن الظن بالله تعالى ورحمته ومنّه على عباده، وإنما

يقوم على أساس الإحساس بالإستحقاق من الله تعالى بإزاء عمله وجهده. وهذه المرحلة من العجب أقبح من سابقتها.

ويأتي بعد هذه المرحلة مرحلة «العتاب» و«الاعتراض» المكتوم على الله، إذا لم تتحقق توقّعات الإنسان كما يريد، وكما يرى أنه يستحقها من الله تعالى، عندئذ يضمر العتاب والاعتراض في نفسه على الله تعالى، وهو على حد الكفر بالله تعالى، وهو أقبح من سابقه.

ويأتي بعد هذه المرحلة مرحلة «المنّ» على الله، فإن الإنسان إذا تمادى في شعوره هذا يستدرجه الشيطان إلى الإحساس بالمنّ على الله، فيتصور أنه قد أفاد دين الله، ونفع رسالة الله، وأدّى خدمة إلى الله تعالى. وهو من أقبح أنواع العجب، وهو على حد الكفر بالله تعالى كما ذكرنا، أو من الكفر بالله أعاذنا الله تعالى منه.

أسباب العجب

العجب يتكون من عنصرين الانبهار بـ«الأنا»، والغفلة عن الله تعالى، وهما مرتبطان ومتداخلان، فإن الانبهار بـ«الأنا»، إذا فصله الإنسان عن الله تعالى يحجب الإنسان ويغفله عن الله، والعكس كذلك صحيح؛ فإن الانصراف والغفلة عن ذكر الله يعطي الفرصة للانا ليستأثر بمشاعر

صاحبه، ويبهره.

إلاّ أن جذور حالة العجب تكمن في «الغفلة» عن ذكر الله؛ فإنّ الإنسان إذا كان ذاكراً لله تعالى، مستحضراً لعظمته وجلاله ورحمته ونعمائه، لا يمكن أن يكبر عنده «الأنا»، ولا يمكن أن يستأثر الأنا بإهتمامه وإعجابه وذكره، وإنما يبرز «الأنا» في حياة الإنسان بقدر ما يغيب ذكر الله عن قلب الإنسان.

وعلى ذلك فإن علاج «العجب» أيضاً هو من نفس سنخ السبب، وهو إستعادة ذكر الله وتمكينه من العقل والقلب، وتعمق «الذكر» في النفس.

وليس الذكر من مقولة القول واللفظ في شيء، وإنما القول واللفظ تعبير وإبراز للذكر، وحقيقة الذكر هو إستحضار صفات الله وأسمائه الحسنى ونعمائه في النفس.

أعراض العجب

من أخطر الأمراض التي تصيب الإنسان: «العجب»، وخطورة هذا المرض تنشأ من خطورة الإعراض والنتائج المترتبة عليه ونحن نشير فيما يلي إلى بعض أعراض حالة العجب:

الاستكبار:

إن حالة العجب تعمّق «الأنا» في نفس الإنسان، وتدفع الإنسان إلى تضخيم حجم «الأنا» في نفسه، وفي نفس الوقت تؤدي إلى ضمور ذكر الله في قلب الإنسان.

وهذا التضخم في «الأنا» عندما يقترن بضمور ذكر الله في النفس يصبح أساساً لحالة إنحرافية مرضية خطيرة في النفس يبتغي فيها الإنسان التميز والكبر على الآخرين، ويتصنع فيها الكبر والتمييز، وهي الحالة التي يسميها القرآن بالاستكبار والتكبر. وقد يكون التكبر على الحق، وحتى على آيات الله وأحكامه، فيرفض أن يخضع للحق، ويرفض أن يؤمن بآيات الله، وأن يخضع لأحكامه وأمره ونهيه. وهذا الرفض واللّجاج من أبرز خصائص التكبّر.

وحالة التكبّر والعناد هي الأساس لأعظم مصائب الإنسان وبؤسه وشقائه وهي التي حجبت أعداء الله تعالى من أمثال فرعون ونمرود وهامان وأبي سفيان وأبي جهل وعتاة قريش عن رؤية آيات الله، وعن الخضوع لأحكامه تعالى. ومن قبل مَنَعَتْ إبليس عن السجود لآدم.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ

فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلاَّ تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ * قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾[1].

وما أضر بالإنسان شيء أعظم من «التكبّر» وما يهلك الناس ويدفعهم إلى جهنم شيء أعظم من «التكبّر».

والذي يمعن النظر في كتاب الله يرى أن التكبّر هو أساس «الإعراض عن الإيمان بالله تعالى» والإعراض عن «لا إله إلا الله» **﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾**[2]. وأساس الإعراض عن دعوة الأنبياء **﴿أَفَكُلَّمَا جَاءكُمْ رَسُولٌ بِمَا لاَ تَهْوَى أَنفُسُكُمُ اسْتَكْبَرْتُمْ﴾**[3]. وأساس الكفر بالله ورسوله **﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ إِنَّا بِالَّذِيَ آمَنتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾**[4]. وأساس العناد واللجاج والصدّ عن سبيل الله **﴿..لَوَّوْا رُؤُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾**[5]، **﴿..وَاسْتَغْشَوْا**

١ـ الأعراف: ١١ ـ ١٣.

٢ـ الصافات: ٣٥.

٣ـ البقرة: ٨٧.

٤ـ الأعراف: ٧٦.

٥ـ المنافقون: ٥.

ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا﴾[1]، **﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ﴾**[2]. والاستكبار يؤدي إلى الاستنكاف عن عبادة الله تعالى **﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيهِ جَمِيعًا﴾**[3]. وهؤلاء المتكبرون إذا تمادوا في الكبر يطبع الله على قلوبهم وأبصارهم **﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾**[4] **﴿وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَلَّى مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾**[5]. وهؤلاء تغلق عليهم أبواب السماء «أبواب الرحمة» **﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء﴾**[6]، وتتفتح عليهم أبواب جهنم **﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾**[7] **﴿..أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾**[8].

١ـ نوح: ٧.

٢ـ الأعراف: ٨٨.

٣ـ النساء: ١٧٢.

٤ـ غافر: ٣٥.

٥ـ لقمان: ٧.

٦ـ الأعراف: ٤٠.

٧ـ الزمر: ٧٢.

٨ـ الزمر: ٦٠.

الانحراف المركب:

والانحراف على شكلين بسيط ومركب، أمّا البسيط فهو أن ينحرف الإنسان عن صراط الله تعالى عالماً بإنحرافه، وأمر هذا الانحراف أهون من غيره فإن فرص الاستقامة تبقى قائمة للإنسان عندما يكون إنحرافه بسيطاً، أمّا إذا كان صاحب الانحراف يؤمن بأنه يحسن صنعاً، ويسير على الصراط المستقيم، فذلك من الانحراف المركّب، «تركيب من الانحراف والجهل بالانحراف» وهذا أخطر من الانحراف الأول؛ فإن الإنسان المنحرف يعتقد في هذه الحالة أنه ليس بمنحرف، و هذا التصور يفوّت عليه فرص العودة و الاستقامة، و«العجب» من أهم مصادر هذه الحالة من الانحراف المركب؛ فإن الإنسان عندما يأخذه العجب بنفسه يرى القبيح الذي يصدر منه حسناً والسيئة التي يرتكبها حسنة، ولا يسمح لأحد أن يراجعه في شيء من ذلك، ولا يسمح لنفسه الشك والترديد في سلامة شيء من مواقفه وأعماله، ويرى لنفسه ما يشبه العصمة، وهذه الحالة كما ذكرنا أخطر حالات الانحراف، والى هذه الحالة من الانحراف المركب تشير الآية الكريمة:

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً * الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ

الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا * أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾.

عندما يبلغ الإنسان هذه الدرجة من الانحراف تحترق عنده الرؤية بشكل كامل، فيتصور قبائح أعماله وسيئاته حسنات، **﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.**

وهذه حالة من حالات عمى العقل والقلب والبصيرة، يفقد فيها الإنسان القدرة على التمييز بين الحق و الباطل، كما يفقد المصابون بعمى الألوان القدرة على تمييز بعض الألوان، بل «العمى» في حالة العجب أخطر، حيث لا يفقد فيها الإنسان الرؤية فقط، وإنما تنعكس فيها الرؤية فيرى القبيح منه حسناً ويرى الحسن من غيره قبيحاً، وتسبب هذه الحالة من العمى وفقدان القدرة على التمييز إنقلاب المقاييس عند الإنسان في حالة «العجب».

فان الإنسان في حالة الرشد والاستواء يجعل من الحق مقياساً لنفسه وأعماله ومواقفه، ويطبق نفسه وأخلاقه وسلوكه ومواقفه دائماً على هذا المقياس، فيستقيم، ويصحّح أعماله ومواقفه كلما تعرّض لخطأ أو إنحراف.

وكلما يتقدّم الإنسان في «العجب» أكثر تتعمق في نفسه هذه الحالة

من إنقلاب المقاييس أكثر من ذي قبل، حتى ينقلب الإنسان، فيكون هو مقياساً كاملا للحق، فما يعمله هو الحق، وما يتركه هو الباطل، وما يريده هو الحق، وما يعارضه ويرفضه هو الباطل، ويكون «الأنا» هو المقياس للحق، وليس «الحق» هو المقياس للأنا.

والقرآن يصف هؤلاء بأوصاف عجيبة، تستوقف الإنسان، وتدعو إلى كثير من التأمل والتفكير.

فهو يقول لهم **أولا** ﴿**الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**﴾ وهذه حالة تخص الحياة الدنيا، فيضيع سعيهم، وضياع السعي بإنتفاء الأثر والفائدة المترتبة على السعي، فإن السعي كالحرث يؤتي ثماره طيبة شهية، إذا أراد الله تعالى لها الخير وبارك فيه، ويكون مبتوراً عقيماً إذا سلب الله تعالى منه الخير والبركة، كذلك «السعي» و«الحركة» إذا سلب الله تعالى منه الخير والبركة كان جهداً ضائعاً وسعياً ضالا.

ويعبّر القرآن عنهم **ثانياً** بـ ﴿**بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً**﴾ وهذه أيضاً حالة تخص الدنيا والخسارة هي أن يفقد الإنسان جهده وحياته وحركته دون أن يأتي له ذلك بنتيجة أو ثمرة، وجهد الإنسان وحركته وعمره هو «رأس ماله» الذي يتاجر به ويحوله إلى «مرضاة الله» و«قرب الله»

و«ثواب الآخرة»، وكل جهد وحركة وساعة من عمر الإنسان لا يتحول إلى هذه النتائج فهو خسارة العمر والجهد، وكان مثل هذا الإنسان مثل التاجر الذي ينفق رأس ماله دون أن يعود عليه بأي شيء وهذه هي الخسارة الكبيرة التي تشير إليها سورة العصر: ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإنسان لَفِي خُسْرٍ**﴾[١].

ولكن القرآن الكريم لا يقتصر هنا في تصوير مأساة الإنسان على هذا الحد وإنما يتجاوز ذلك ويصف مأساة الإنسان في هذه الحالة بـ﴿**بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً**﴾ بصيغة أفعل التفضيل، وسبب تأكيد حالة الخسارة هذه أن جهد الإنسان وسعيه وحركته ليس فقط يضيع، وإنما يتحول إلى ضده، فيتحول جهد الإنسان إلى عذاب الله، وعقابه، وغضبه عوض أن يتحول إلى رحمة الله، وقربه، ورضوانه، وجنته. كمن ينفق ماله في إرتكاب جريمة فيعاقب ويغرّم، فإن هذا الإنسان ليس فقط يخسر رأس ماله، وإنما ينقلب رأس ماله إلى وبال عليه.

ثم يقول القرآن الكريم عنهم ثالثاً: ﴿**فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا**﴾، وهذه الحالة تخص يوم القيامة وهي حالة «الحبط»

---

١ ـ العصر: ١ ـ ٢.

الكامل في الآخرة وحالة «إنعدام الوزن» ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾.

وحالة «الحبط» في مقابل أصل «البقاء» و«الثبات» للأعمال في يوم القيامة، والذي يشير إليه القرآن في كثير من آياته ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ * وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[1].

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلاَّ أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[2].

وبموجب هذه الحالة لا ينعدم شيء من العمل من خير أو شر يصدر عن الإنسان يوم القيامة. وهذا أصل كوني من الأصول الكونية التي يشرحها القرآن في تبيان سنن الله تعالى.

إلا أن «الكفر» و«الانحراف المركب» النابع من العجب يؤدي إلى حبط الأعمال يوم القيامة «فحبطت أعمالهم»، و«الحبط» في مقابل أصل «الثبات».

١ـ الزلزلة: ٧ـ٨.

٢ـ الكهف: ٤٩.

كما يؤدّي الكفر والانحراف المركب إلى حالة «إنعدام الوزن» يوم القيامة ﴿فَلا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا﴾، وبالوزن يوم القيامة يستقر الإنسان في رحمة الله ورضوانه، وإذا فقد الإنسان الوزن يوم القيامة فلا يستطيع أن يستقر في رحمة الله.

أرأيت لو أن الإنسان فقد «الوزن الفيزياوي» في الدنيا على وجه الأرض هل يستطيع أن يستقر فيها أو يبني لنفسه حياة فيها، كذلك إنعدام الوزن يوم القيامة.

علاج العجب

في حياة الإنسان مصدران للابتلاء: «الهوى» و«الأنا» وكل منهما سبب لسقوط الإنسان وهلاكه.

فقد يسقط الإنسان على مزلق الاستجابة للهوى، فيملك الهوى أمره، ويحكمه في حياته فيجرّه إلى الهلاك والسقوط. وهو باب واسع من أبواب الفساد والهلاك والسقوط في حياة الإنسان، وقد حذرّ الإسلام منه كثيراً وأعتبره من أخطر المزالق التي تواجه الإنسان.

والمصدر الآخر للسقوط والهلاك والفساد في حياة الإنسان هو «الأنا»، وكما كانت الاستجابة غير المحدودة للهوى سبباً في السقوط والهلاك في حياة الإنسان، كذلك الاستجابة غير المحدودة للانا يعتبر

المصدر الثاني للسقوط في حياة الإنسان؛ فإن الأنا عندما يستعلي ويستكبر ويتحول إلى محور يستقطب كل إهتمامات الإنسان يتحول إلى صنم يتخذه الإنسان إلهاً في حياته من دون الله. وهذا باب واسع آخر للسقوط والفساد والهلاك في حياة الإنسان.

وقد أعطى الإسلام في منهاجه التربوي إهتماماً لهذا وذاك معاً.

والطريقة الصحيحة في معالجة كل من «الهوى» و«الأنا» ليس في إستئصاله أو كبته ومحاربته، وإنما في تعديله وتلطيفه والتحكم فيه.

ومن الوسائل التربوية الصحيحة في تعديل كل من «الهوى» و«الأنا»: العبادات.

ففي العبادات ما يتخذه الإسلام وسيلة لتعديل الهوى وكفه وضبطه وتحديده كالصوم.

ومن العبادات ما يتخذه الإسلام أداة لتعديل الأنا وتحجيمها كالصلاة؛ فإن الصلاة وسيلة فعالة وقوية لإذلال الأنا وتركيعها بين يدي الله تعالى في الأذكار، والأفعال معاً.

فالتكبير والتهليل، والحمد، والتعبيد، والاستعانة بالله، والتوحيد، والدعاء في الأذكار يذلل الأنا ويخضعها لله، ويشعرها بهذا الذل والخضوع بإيحاءات متعددة.

والحج عبادة فريدة في الإسلام يجمع بين هذا وذاك ففي الحج منهاج تربوي واسع لتدريب الإنسان على ضبط الهوى وتحديده، كما أن فيه منهاجاً كاملا لتعبيد الهوى وإذلاله بين يدي الله تعالى.

والذي يمعن النظر في فريضة الحج يجد أن هذه الفريضة العبادية تتضمن منهاجاً تربوياً دقيقاً وعملياً في ضبط «الهوى» و«الأنا» وتعديلهما وتعبيدهما لله تعالى.

ونحن في هذا الحديث لا نريد أن نبحث عن الهوى وأخطاره وأعراضه وعلاجه في حياة الإنسان، فليس في هذا المقال موضع للدخول في هذا البحث، وإنما أشرنا إليه إشارة لنعرف موضع «الأنا» من الأخطار التي تهدد حياة الإنسان، وليكتمل عندنا منهج البحث وإطاره.

فإن «الأنا» هو مصدر «العجب» في حياة الإنسان، ولا محالة بكون علاج العجب بعلاج الأنا، و«الأنا» كما ذكرنا أحد مصدري الخطر والسقوط والفساد في حياة الإنسان.

فلنتأمل إذن في «الأنا» ونترك البحث عن الهوى إلى الموضع المناسب إن شاء الله[1].

---

١ ـ يمكن إعتبار (الأنا) من (الهوى).

مصدر العجب «الأنا» ولا محالة يكون علاج العجب في علاج «الأنا». إذن المسألة الأساسية في المرض والعلاج هو «الأنا».

فلنتأمل إذن في «الأنا».

للإنسان حالتان: في **الحالة الأُولى** يتمحور الإنسان حول الأنا ويستقطب الأنا كل جهد صاحبه وحركته وكل حبه وبغضه وكل مشاعره وإهتماماته.

وفي **الحالة الثانية** تكون مرضاة الله هي المحور لكل حركة الإنسان ونشاطه وإهتمامه: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾[1].

في الحالة الأُولى يسقط الإنسان وفي الحالة الثانية يعرج الإنسان. ومرض العجب بعض أعراض الحالة الأُولى وعلاج هذا المرض وسائر الأمراض الناشئة من الحالة الأُولى هي الحالة الثانية؛ فإذا فكَّ الإنسان إرتباطه من «الأنا» وربط نفسه بمحور الله تعالى وذكره ورضاه يخلص من العجب كما يتخلص من كل الأعراض والأمراض الكثيرة الأخرى

١ ـ الأنعام: ١٦٢.

التي تنشأ من حالة محورية الأنا.

وهذه الحالة من الاستكبار ومحورية «الأنا» هو الذي منع إبليس لعنه الله من الاستجابة لأمر الله تعالى في السجود لآدم: ﴿**قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ * قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ**﴾[1].

وفي الخطاب الإلهي لإبليس من العناية بخلق آدم ﴿**لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ**﴾، ومن الإنكار الساخر على إبليس ﴿**أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ**﴾ ما لا يخفى على الذي يمعن النظر في هذا الخطاب.

وصياغة الآية دقيقة ومعبرة، فهي تبرز «الأنا» بشكل صارخ في جواب إبليس عن السبب الذي منعه من السجود ﴿**مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ**؟.. **قَالَ أَنَا..**﴾.

وينحدر اللعين من «الأنا» إلى الحسد، فلا يطيق أن يرى هذه الميزة لآدم عليه السلام من دونه فيحسده، وهذا هو **الانحدار الأول**.

ويشق عليه أن يستجيب لأمر الله تعالى في السجود لآدم، فيتمرد على أمر الله تعالى ويمتنع عن الاستجابة له. وهذا هو **الانحدار الثاني**،

١ ـ سورة ص: ٧٥ ـ ٧٦.

وهو نهاية السقوط في حياة هذا اللعين.

وإبتلاء قارون أيضاً بهذه الأنانية الطاغية: ﴿**قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي**﴾[1]، فلا يرى قارون لله تعالى فضلا عليه فيما عنده من الكنوز حتى يحاسبه عليه ويطلب منه الإنفاق منها، وإنما هي له خاصة، تجمعت عنده على علم عنده وجهده له. إذن نقطة الضعف في شخصية قارون هي «الأنا» ومن خلال هذه النقطة إندس الشيطان إليه، ودعاه إلى التمرد على الله تعالى ورسوله.

ويبرز الأنا بصورة صارخة في حياة فرعون: ﴿**فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى**﴾[2]، وهذه واحدة من أقبح حالات الاستعلاء للانا.

وهذه الحالة من الأنانية الطاغية تؤدي بصاحبها إلى إستضعاف الآخرين وإستخفافهم وإذلالهم للتمكن منهم وفرض نفوذه وسيطرته عليهم: ﴿**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ**﴾[3].

وهذا هو الوجه الممقوت والقبيح من الأنا، والى هذا الوجه تعود

١ ـ القصص: ٧٨.

٢ ـ النازعات:٢٣ ـ ٢٤.

٣ ـ الزخرف: ٥٤.

طائفة كبيرة من المشاكل والمتاعب والمصائب والابتلاءات في حياة الإنسان.

والوجه الآخر للإنسان هو وجه العبودية والارتباط والانشداد بالله.

والأنا ـ في هذا الوجه الآخر ـ لا يكون محوراً لحركة الإنسان وجهده ونشاطه وحبه وبغضه، وإنما يتحول الإنسان من «الأنا» إلى محور مرضاة الله تعالى وقربه، ويكون مرضاة الله هو غاية الإنسان في حركته ونشاطه وهو الأساس والمحور في حبه وبغضه.

يقول تعالى فيما يوجه به عبده ورسوله ﷺ: ﴿**قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ**﴾[1]، وهذا هو الوجه المقبل على الله تعالى من «الأنا» فيما كان الوجه الأول هو الوجه المعرض عن الله تعالى من الأنا.

١ ـ الأنعام: ١٦١ ـ ١٦٣.

الدوائر الأربعة للأنا

وكما ينشئ الإنسان العلاقة مع الآخرين، تتصف بالحب، والبغض، والانسجام، والتناقض، والتعاون، والتواكل، كذلك للإنسان دوائر أُخر من العلاقات على نفس الترتيب مع الله تعالى ومع نفسه ومع الدنيا.

وهذه أربعة دوائر للعلاقات يدخل فيها الأنا بالصورة التالية:

١ـ علاقة الأنا بالله تعالى.

٢ـ علاقة الأنا بالآخرين.

٣ـ علاقة الأنا بالدنيا «الأشياء».

٤ـ علاقة الأنا بنفسه.

ونمط علاقة الأنا في كل من هذه الدوائر الأربعة يختلف إختلافاً جوهرياً وعميقاً في الحالة الأُولى «حالة محورية الأنا» عن الحالة الثانية «محورية الله تعالى». ففي كل دائرة من هذه الدوائر الأربعة حالتان متمايزتان: حالة محورية (الأنا) وهي حالة مذمومة في كتاب الله وحالة محورية الله وهي حالة محمودة في كتاب الله.

وأكثر مصائب الإنسان وإبتلاءاته ومشاكله هي من إفرازات «الأنا»،

عندما يتحول «الأنا» في حياة الإنسان إلى محور من دون الله تعالى.

فيكون من إفراز «الأنا» في دائرة (علاقة الإنسان بالله تعالى) التكبر على الله، والتمرد على الله والشرك والكفر.

ومن إفراز «الأنا» في دائرة علاقة الإنسان بالآخرين: نظام الاستكبار والاستضعاف في العلاقات الاجتماعية، والحسد، والعدوان، والبغضاء، والكراهية فيما بين الناس.

ومن إفراز «الأنا» في علاقات الإنسان بالدنيا: الحرص والطمع، والجشع.

ومن إفراز الأنا في علاقته بنفسه: العجب، الغرور والاعتداد بالنفس وتزكية النفس وتبرئتها عن الخطأ والتقصير.

بينما نجد أن إفراز الأنا ونتائجه عندما يجعل الإنسان مرضاة الله تعالى في حياته هي المحور ويجعل الأنا تابعاً لهذا المحور أمر يختلف تماماً في النقاط التي ذكرناها في هذه الشبكة الواسعة من العلاقات.

وهذا إجمال لابدّ له من تفصيل، وهذا التفصيل يرتبط بموضوع بحثنا إرتباطاً وثيقاً، لابدّ من الدخول فيه.

واليك هذا التفصيل:

١. في علاقة (الأنا) بالله:

عندما يتحول «الأنـا» فـي حيـاة الإنسـان إلـى محـور يسـتقطب كـل مشاعره وإهتماماتـه يصـدق علـى هـذا الإنسـان أنـه إتخـذ «الأنـا» إلهـاً. ويتحول «الأنا» إلى صنم في حياته، يعبده الإنسـان مـن دون الله. وبقـدر ما يبرز «الأنا» إلهاً في حياة الإنسان يضمر إحساس الإنسـان بإلوهيـة الله تعالى في حياته.

وبين هذا وذاك نسبة عكسية دائماً فكلما تبرز إلوهية الأنا أو الهوى في حياة الإنسان أكثر يختفي التوحيد أكثر؛ فإن التوحيد يقع في النقطة المقابلة لمحورية الأنا تماماً، وكلما تتأكّد حالة محورية الأنـا فـي حيـاة الإنسان تختفي حالة «التوحيد».

والمرحلـة الأُولـى لهـذا البـروز والاختفـاء «الشـرك» حيـث يشـرك الإنسان بالله تعالى، والشـريك الـذي يشـركه الإنسـان فـي الألوهيـة هـو «الأنا»، والمرحلـة الأخيـرة لهـذا البـروز والاختفـاء هـو «الكفـر» حيـث يغطي «الأنا» ذكر الله تعالى في قلـب الإنسـان بشـكل كامـل، و«الكفـر» بمعنى التغطية، فتبرز محورية «الأنا» فـي حيـاة الإنسـان بصـورة طاغيـة، وهذه هي التي ينتهي إليها الإنسان غالباً عندما يستدرجه حب الذات.

وهذا «الكفـر» مـن الكفـر فـي مقـام العمـل، ولـيس مـن الكفـر فـي

«العقيدة». وقد يختلفان فيبقى الإنسان في العقيدة مؤمناً بالله تعالى خالقـاً ورازقاً ورباً، ولكنه في مرحلة العمل ينسى الله تعالى ويُنْكـره تمامـاً فـي إهتماماته وجهده وحركته ومشاعره ويتحرك حول نفسه، ويتحـول مـن محور «الله» إلى محور «الأنا» وينفك تماماً عـن المحـور الأول، ويـرتبط تماماً بالمحور الثاني.

وهذا الكفر في التعامل قد يسـتتبع الكفـر فـي العقيـدة، وقـد يفـارق الكفر في العقيدة ولكن القرآن يحكم عليه بـالكفر، كمـا يحكـم علـى الحالة الأُولى منها بالشرك.

٢. في علاقة . الأنا . بالآخرين:

هذا في علاقة «الأنا» بالله تعالى، وأما في علاقة «الأنا» بالآخرين فإن أكثر مآسـي الإنسـان وشـقائه فـي علاقتـه بـالآخرين يعـود إلـى «الأنـا» و«الهوى»، كما أن أكثر شقاء الإنسان في علاقته بالله تعالى هـو كـذلك في «الأنا» و«الهوى».

ونحن نتحدث هنا عن بؤس الإنسان في علاقته بـالآخرين بقـدر مـا يتعلق الأمر بـ«الأنا» كما تحدثنا قبل هذا عن بؤسه في علاقته بالله تعالى في نفس الحقل.

إن حالـة التأكيـد والاسـتعلاء للأنـا تـؤدي فـي شـبكة العلاقـات الإجتماعية إلى حالتي الاستكبار والاستضعاف في علاقة الناس بعضهم ببعض في المجتمع، وضمن هـذه العلاقـة يحـاول كـل فـرد أن يفـرض نفـوذه وهيمنتـه علـى الآخـرين، ولكـي يحقـق هـذه الغايـة يستضـعف الآخرين ويستخفهم ليتمكن من فرض نفوذه عليهم.

يقول تعالى عن علاقة فرعون بقومه ﴿**فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ**﴾.

وبهذه الطريقة يتكون في المجتمع نظـام مـن العلاقـات الاجتماعيـة والسياسية والاقتصادية يقوم على أساس الاستكبار والاستضعاف، وهـو أساس لكثير من الفساد على وجه الأرض.

كما أن حالة التأكيد والاستئثار والمحورية للانـا تـؤدي إلـى طائفـة مـن المتاعـب الاجتماعيـة والأخلاقيـة فـي حيـاة الإنسـان فـي علاقاتـه بـالآخرين كالعـدوان والحسـد «تمنـي إزالـة النعمـة عـن الآخـرين»، والكراهية والبغضاء والاستئثار وسوء الظن والارتياب وفقدان الثقة فيما بين الناس، وحب البـروز والاشـتهار وإسـتراق الأضـواء عـن الآخـرين، وتسليط الأضواء على النفس (حب الشهرة).

وهـذه المفاسـد وغيرهـا فـي العلاقـات الاجتماعيـة والسياسـية والاقتصادية هـي حصـيلة حالـة الاسـتعلاء والتركيـز والاسـتئثار للانـا...

ولسنا نريد هنا أن ندخل هذا البحث، وهو بحث واسع مترامي الأطراف.

٣. في علاقة الإنسان بنفسه:

وأما علاقة الإنسان بنفسه فهي علاقة معقدة شـديدة التعقيـد، أشـرنا إليها سابقاً إشارة سريعة.

وهـذه العلاقة قد تقوم على أساس من إنبهار الإنسان بنفسه فيما آتاه الله من ملكات ومواهب وفيما يفعله ويقولـه وهـو جانـب مـن العُجْـب، وقد تقوم على أساس من الترفع عن النقد ورفض الاعتـراف بتقصـير أو خطأ في قول أو فعل و«تزكية النفس» وتبرأتها وهو الجانب الآخـر مـن العجب.

٤. في علاقة الإنسان بالدنيا:

وفي دائرة علاقة الإنسان بالدنيا ومغرياتهـا تـؤدي هـذه الحالـة إلـى الحرص والجشع و«جوعـة الـدنيا» والـنهم الـذي لا يشـبعه شـيء، وقـد روي عن رسول الله ﷺ: «لو كان لإبـن آدم واديـان مـن ذهـب لابتغـى ثالثاً، ولا يملأ جوف إبن آدم إلا التراب»[1].

١ ـ إحياء العلوم للغزالي ٣: ٢٣٨.

النهاية

والنتيجة والعاقبة التي ينتهي إليها جميع أولئك الذين يتخذون «الأنا» إلهاً ومحوراً في حياتهم من دون الله تعالى هي الانغلاق الكامل على آيات الله تعالى، والطبع والرَّيْن على القلوب.

يقول تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾[1].﴿كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[2].

تعديل الأنا

وبعد هذه الجولة في أعراض «الأنا» عندما يتخذ الإنسان «الأنا» محوراً وإلهاً في حياته من دون الله، نبحث عن الوسائل التي يقدمها الإسلام في منهاجه التربوي لتعديل «الأنا» في حياة الإنسان.

لا يؤمن الإسلام بمبدأ إلغاء «الأنا»، كما لا يؤمن بمشروع إلغاء «الهوى».

والمنهج الذي يقره الإسلام في «الأنا» و«الهوى» هو التعديل وليس الإلغاء.

١ـ الأعراف: ١٤٦.

٢ـ الزخرف: ٥٤.

ولابدّ أن نبحث عن ا لوسائل التي يقدمها الإسلام في منهجه التربوي لتعديل «الأنا»، أمّا تعديل الهوى فهو أمر خارج عن إختصاص هذه المقالة نُحيله إلى مواضعه من الدراسات الأخلاقية والنفسية في الإسلام.

وتعديل «الأنا» هو علاج العُجْب بشكل دقيق؛ فإن مشكلة «العُجْب» تكمن في «الأنا» وبالضرورة يكون علاج هذه المشكلة في تعديل الأنا وتلطيفه.

ويتم تعديل الأنا بصورة كاملة، في التربية الإسلامية ضمن تحديد وتنظيم علاقة الأنا بالله تعالى وعلاقته بالآخرين وعلاقته بنفسه.

وقد أولى الإسلام هذه الدوائر الثلاثة من العلاقات في حياة الإنسان إهتماماً كبيراً، وإِذا قدر للإنسان أن ينظم علاقاته مع الله ومع الآخرين ومع نفسه ومع الدنيا بالطريقة التي يشرحها ويوضّحها الإسلام، يسلم من كل الأعراض التي تصيب الإنسان من ناحية «الأنا» والعُجْب من أهم هذه الأمراض.

ونحن فيما يلي نحاول إن شاء الله أن نطرح للبحث النظرية الإسلامية في علاقة الأنا بأهم هذه الدوائر وهي دائرة العلاقة بالله تعالى وبنفسه:

أ ـ في علاقة "الأنا" بالله تعالى:

الأنماط الثلاثة للعلاقة بالله:

علاقة «الأنا» بالله تعالى من الأمور الدقيقة التي تعطيها النصوص الإسلامية إهتماماً كبيراً.

فهناك أنماط من العلاقة بالله تعالى تقوم على أساس الطغيان على الله وتجاوز حدود العبودية، والقرآن يسمي هذه العلاقة بالطغيان، يقول تعالى: ﴿كَلاّ إنّ الإنسان لَيَطْغَى* أن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾[1]، ﴿فَأَمَّا مَن طَغَى * وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا * فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[2]، ﴿فَنَذَرُ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾[3].

وللطغيان في حياة الإنسان صور ومصاديق كثيرة:

منها الخصومة مع الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الإنسان أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾[4].

---

١ ـ العلق: ٦ ـ ٧.

٢ ـ النازعات: ٣٧ ـ ٣٩.

٣ ـ يونس: ١١.

٤ ـ يس: ٧٧.

ومنه الصدّ عن سبيل الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ..﴾[1].

ومنه محاربة الله: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ اللّهَ وَرَسُولَهُ﴾[2]

و منه محادّة الله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ﴾[3].

ومنه مشاقّة الله: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[4].

وهناك نوع آخر من العلاقة بالله قائمة على أساس الادلال والمنّ على الله ورسوله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[5].

والنوع الآخر من العلاقة بالله تعالى قائمة على أساس العبودية لله

---

١ ـ الأنفال: ٣٦.

٢ ـ التوبة:١٠٧.

٣ ـ المجادلة: ٢٠.

٤ ـ الأنفال: ١٣.

٥ ـ الحجرات: ١٧.

والحب والذكر والخوف والرجاء والطاعة والخشوع والخضوع والإخبات لله. وموقع الأنا في هذه العلاقة من الله تعالى هو موقع التذلل والعبودية والخشوع وليس موقع الطغيان والخلاف ولا موقع الادلال والمن.

وهذه هي العلاقة الصحيحة للانا مع الله تعالى. وهذه العلاقة تحمي الإنسان من العُجْب، وتحدد الموضع الصحيح للانا من الله تعالى والحجم الحقيقي للانا.

قصّة صاحب الجنتين

في القرآن الكريم نتعرّف على مفهوم جديد للكفر والإيمان وهو الكفر والإيمان في التعامل مع الله، وفي العلاقة بالله. فقد يكون الإنسان من حيث العقيدة مؤمناً، ولكن تعامله مع الله وعلاقته به تعالى يستبطن الكفر، واليك مثالا عن ذلك «قصّة صاحب الجنّتين».

ففي قصّة صاحب الجنتين، في سورة الكهف نلتقي نحن هذه الحالة من الكفر المستبطن في التعامل.

ولنقرأ هذه القصة في سورة الكهف:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ

وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا * كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا * وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا * وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا * وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا * قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً * لَّكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا * أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا * وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا * هُنَالِكَ الْوَلايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا﴾[1].

ولنتأمل في هذه الآيات فإنها غنية بالمفاهيم والأفكار، وأول ما يلفت نظرنا في هذه الآيات تأكيد القرآن على ربط هذه النعم بالله تعالى: ﴿جَعَلْنَا لأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ.. وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا﴾.

---

١ ـ الكهف: ٣٢ ـ ٤٤.

ولاشكّ أنها عناية مقصودة في بداية القصة، وهو أحد الاتجاهين المختلفين في الحوار الذي يجري في جو هذه القصة في سورة الكهف.

وهذا الاتجاه هو ربط كل نعمة وموهبة وخير ورزق في حياة الإنسان بالله تعالى، والتأكيد على هذا الربط، في مقابل الاتجاه الآخر الذي نقرأه في هذه القصة، وهو فك إرتباط النعم عن الله تعالى، وربطها بالإنسان، وإعتبار الإنسان هو صاحب هذه النعم ووليها.

ويبرز هذا الاتجاه في الحوار الذي يجري في القصة في كلمة صاحب الجنتين لصاحبه، وهو يحاوره: ﴿**أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾، فالمال والنفر العزيز للانا، وليس لإرتباطهما بالله تعالى ذكر أو إشارة.

ومن عجب أن هذه النعم الموصولة بالله تعالى، بدل أن تتحول في نفس صاحب الجنتين إلى إحساس بالشكر والتواضع لله تعالى تتحول في نفسه إلى طغيان للأنانية، وبروز صارخ للانا أولا، ثم إلى تكاثر وتفاخر ومباهاة: ﴿**فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا**﴾.

وسبب بروز «الأنا» وطغيانه عند صاحب الجنتين ليس هو «النعمة»،

وإنما طريقة فهمه للنعمة وعلاقة النعمة به. إن النعمة عنده له، وهو وليّها، وليس لأحد فضل عليه فيها، بعكس التصور الذي يقدمه القرآن لعلاقة الإنسان بالنعمة، والتي أشرنا إليها قريباً؛ فإن النعمة ـ بناء على التصور القرآني ـ لله وهو وليّها، وليس لصاحب النعمة فيها شأن أو فضل، إلا أن الله تعالى أودعها عنده، وجعله خليفة عليها.

وهذان التصوران مفتاحان لنمطين من الشخصية، يشير إليهما الحوار الذي يجري في سورة الكهف في قصة صاحب الجنتين. ولكل من هاتين الشخصيتين طريقته وإسلوبه في فهم النعمة والتعامل معها. في النمط الأول من الشخصية، وهو النمط القرآني، يتأكّد إرتباط النعمة بالله تعالى وهو بمعنى فقر الإنسان إلى الله تعالى وليّ النعمة، ولذلك فإن السمة البارزة في هذه الشخصية هي «الفقر» إلى الله تعالى، يقول الله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ**﴾[1].

وأروع تصوير لهذه الحالة من «الأنا» ورد في القرآن في قصة موسى بن عمران عليه السلام عندما وقف في الظل يستريح بعدما سقى لإبنتي

---

١ ـ فاطر: ١٥.

شعيب: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[1] والأنا في هـذه الآيـة الكريمة تقع بين نعمة نازلة من الله ﴿لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ﴾ وفقر صـاعد إلـى الله ﴿فَقِيرٌ﴾. أحـدهما ينتهـي إلـى الإنسـان مـن الله تعـالى وهـو النعمـة والرحمة والآخر ينطلق من الإنسان إلى الله وهو الفقر. و«الأنا» بـين هـذا الخط الصاعد والخط النازل.

وهذا هو الوضع الصحيح للانا في الارتباط بالنعمة، والنمط القرآني للشخصية.

وهذا النموذج من الشخصية بارز كل البروز في الحـوار الـوارد فـي قصة صاحب الجنتين، كما سيتضح أكثر فيما بعد إن شاء الله.

والنمط الآخر من الشخصية هو النمط الأناني، وفيـه يتأكّـد إرتبـاط النعمة بالأنا وتختفي علاقة النعمة بالله تعـالى. فتكـون النعمـة فـي حيـاة الإنسان من علامات «الغنى» وليس «الفقر»، وكلما يـزداد حـظ الإنسـان من النعمة يشعر بالاستغناء أكثر من ذي قبل.

والإحساس بالغنى سبب الانفصال عن الله، كما أن الإحساس بالفقر سبب الارتباط بالله تعالى.

---

١ ـ القصص: ٢٤.

وفي حالة الإحساس بالغنى والانفصال عـن الله يبـرز الأنـا ويطغـى، كما أن الأنا في حالة الإحساس بالفقر والارتباط بالله يختفي ويضمر.

وصدق الله تعالى حيث يقـول: ﴿كَلاَّ إِنَّ الإِنسَـانَ لَيَطْغَـى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾، وهـذه الآيـة تصـور بصـورة واضـحة ودقيقـة كيـف تتحـول النعمة في حياة الإنسان إلى إحساس بالغنى، وشعور بالانفصال عـن الله، وبالتالي الطغيان.

وهـذه الحالـة مـن الأنانيـة، وبـروز الأنـا، ومـا يسـتتبعه مـن التبـاهي والتفاخر والتكاثر ظاهر في هذه الفقـرة مـن الحـوار الـوارد فـي القصـة: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَـرًا﴾. ومكافحـة هـذه الحالـة مـن الطغيـان بتأكيد الفقر إلى الله، وتحجيم الأنا، وتحديده، والمنع من بروزه.

وفي التصور الذي يقدمه إلينا القرآن عـن «الأنـا»، وطريقـة التعامـل معه يعتبر إطلاق العنان للانا من الظلم الذي يمارسه الإنسان على نفسـه، حيث يقطع الإنسـان نفسـه عـن الله. وهـو مـن أقـبح أنـواع الظلـم الـذي يمارسه الإنسان على نفسه.

ولذلك فإن القرآن يقول عن صاحـب الجنتـين: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُـوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ﴾.

ولهذا الظلم وجهان إثنان:

الوجه الأول: الانشداد إلى متاع الحياة الدنيا، وطول الأمل فيه، حتى كأنه لا يبيد ولا يفنى: ﴿**قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا**﴾. وهو أمر طبيعي؛ فإن الإنسان إذا شد كل حبال نفسه بالدنيا ودّ لو لم ينقطع عن الدنيا، وتبقى له ولا تبيد، وهو بمعنى طول الأمل.

والوجه الثاني: قطع الرجاء والأمل عن الله في مقابل طول الأمل بالدنيا، حتى كأن الساعة لا تقوم، والى هذا الإحساس الباطني المكتوم تشير الآية الكريمة ﴿**وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً**﴾.

وهذان وجهان لحقيقة واحدة، لا يمكن التفكيك بينهما.

والفصل الأخير من مأساة «الأنا» في هذا الحوار، إن الإنسان عندما يسترسل في الطغيان، يتحول عنده بالتدريج الشعور بالفقر إلى الله، إلى إحساس بالاستحقاق على الله.

﴿**وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي لأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا**﴾ فهو يفترض أنه في الآخرة ـ لو قامت الساعة ـ لا يقل مالا وولداً عنه عن الدنيا، بل يجد فيها خيراً مما يملك في الدنيا منقلباً.

وليس يطلب ذلك من الله تعالى، ويرجوه، أو يسعى لتحصيله سعياً في الدنيا، وإنما يفترض أنه يستحق ذلك على الله إستحقاقاً.

ولا يخفى في نفس الوقت شكّه في أن تقوم الساعة ﴿**وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَى رَبِّي**﴾.

وينتهي هذا الطرف من الحوار هنا، ويبدأ ذكر الطرف الآخر من الحوار، وهو نموذج آخر من الشخصية يختلف عن النموذج الأول في مكوّناته ومنطلقاته.

فلنتأمل في هذا الشطر الآخر من الحوار ﴿**قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً**﴾.

وهذه أبرز نقطة تلفت النظر في هذا الحوار: فلم يسبق من صاحب الجنتين إنكار لله تعالى بالصراحة، عدا ما سبق منه من التشكيك في أن تقوم الساعة، فما مصدر هذه النسبة التي ينسبها إليه صاحبه المؤمن الذي يحاوره؟ إن هذا الكفر هو كفر بالله تعالى في مقام التعامل، يستبطنه الموقف العملي لصاحب الجنتين، وطريقة تعامله مع نعم الله تعالى.

إلا أن صاحب الجنتين يحاول أن يتكتم عليه ويخفيه ويحاول صاحبه المؤمن الذي يحاوره أن يجابهه به علانية، ويقرعه به ليردعه عنه.

وهذه هي الحقيقة التي أكدناها من قبل، فإن في كل بروز للأنا

إختفاء للتوحيد في علاقة الإنسان بالله. والمرحلة الأُولى منه الشرك والمرحلة الأخيرة الكفر.

ولنتأمّل في البقية من هذا الحوار: **﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا * وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ إِن تُرَنِ أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالاً وَوَلَدًا * فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾**. وهذا شطر آخر من الإختلاف في طريقة التعامل مع الأنا في هذين النموذجين من الشخصية، فإذا كان «الأنا» أبرز شيء في كلام المُحاور الأول، فإن «الأنا» هنا يختفي، ويبرز التوحيد بشكل بارز **﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾**.

والفرق بين «الأنا» في كلام هذا وذاك هو مفتاح فهم كل من هاتين الشخصيتين وأساس الفرق بينهما: إنّ (الأنا) موجود في كلام كل منهما: **﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالاً﴾** و**﴿لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي﴾** ولكن شتان بين موقع (الأنا) في كلام هذا وذاك.

فإذا كان المُحاور الأول ربط النعمة مباشرة بنفسه، وكأنه وليّها ومالكها الحقيقي، نجد أن المُحاور المؤمن يربط هذه النعمة بمشيئة الله تعالى وقوته **﴿وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاء اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ﴾**.

وإذا كان أمل المُحاور الأول وثقته فيما يفنى ويبيد من متاع الدنيا، فإن ثقة المُحاور المؤمن فيما يبقى ولا يزول من الأمل برحمة الله **﴿فَعَسَى رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾**.

عناصر العلاقة بالله

والنصوص الإسلامية تعطي للعلاقة بالله تعالى إهتماماً كبيراً، وتعتبر هذه العلاقة هي الأساس والمحور للشخصية الإسلامية، وتحدد الأبعاد الأخرى للشخصية الإسلامية على ضوء هذه العلاقة.

والعناصر التي تتألف منها علاقة العبد بالله تعالى مجموعة متناسقة من النقاط يتألف منها طيف منسجم ومتناسب ومتعادل في العلاقة بالله تعالى.

ودراسة هذا الطيف وتحليله يحتاج إلى فرصة ودراسة أوسع من هذا المقال.

إلا أننا سوف نحاول أن نشير إلى مجموعة من النقاط التي تتألف منها العلاقة بالله تعالى من خلال النصوص الإسلامية في القرآن والحديث. وإليكم هذه الاضمامة من عناصر العلاقة بالله تعالى:

١ـ الخوف والخشية من الله: يقول تعالى: **﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ**

رَبِّه وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى * فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى﴾[1] ﴿فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي﴾[2].

٢ـ التضرع: ﴿تَدْعُونَهُ تَضَرُّعاً وَخُفْيَةً﴾[3] ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً﴾[4].

٣ـ الإنابة: ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ﴾[5]، ﴿وَخَرَّ رَاكِعاً وَأَنَابَ﴾[6].

٤ـ الإخبات: «التواضع والخشوع»: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُواْ إِلَى رَبِّهِمْ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الجَنَّةِ..﴾[7]، ﴿وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾[8].

٥ ـ الحب: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ.. أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللّهِ

١ـالنازعات: ٤٠ـ٤١.
٢ـالبقرة: ١٥٠.
٣ـالأنعام: ٦٣.
٤ـالأعراف: ٢٠٥.
٥ـالزمر: ٥٤.
٦ـسورة ص: ٢٤.
٧ـهود: ٢٣.
٨ـالحج: ٣٤.

وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾[1]، ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلّهِ﴾[2].

٦ ـ التقوى: ﴿..اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ..﴾[3].

٧ ـ الاستغفار: ﴿..وَاسْتَغْفِرُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[4].

٨ ـ التوبة: ﴿فَتُوبُواْ إِلَى بَارِئِكُمْ﴾[5]، ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾[6].

٩ـ الاعتذار والندم: «اللّهم عظم بلائي وأفرط بي سوء حالي وقصرت بي أعمالي وقعدت بي أغلالي وحبسني عن نفعي بعد أملي، وخدعتني الدنيا بغرورها ونفسي بجنايتها ومطالي يا سيدي»[1].

١٠،١١،١٢ـ الانكسار، الاستقالة، الإقرار والإذعان والاعتراف:

١ـالتوبة: ٢٤.
٢ـالبقرة: ١٦٥.
٣ـالأحزاب: ١.
٤ـالبقرة: ١٩٩.
٥ـالبقرة: ٥٤.
٦ـهود: ٥٢.

في الدعاء الذي علّمه أميرالمؤمنينعليه السلام لكميلرضي الله عنه: «وقد أتيتك يا الهي بعد تقصيري وإسرافي على نفسي معتذراً نادماً منكسراً مستقيلا، مستغفراً منيباً، مقراً، مذعناً، معترفاً لا أجد مفراً مما كان مني ولا مفزعاً أتوجه إليه في أمري غير قبولك عذري.. اللّهم فاقبل عذري وارحم شدة ضري».

«أنت الساتر عورتي والمؤمن روعتي والمقيل عثرتي»[٢].

١٣ـ الذل والمسكنة والاستكانة بين يدي الله: «هذا مقام العائذ بك من النار. هذا مقام المستجير بك من النار. هذا مقام المستغيث بك من النار. هذا مقام الهارب إليك من النار. هذا مقام من يبوء لك بخطيئته ويعترف بذنبه»[٣].

١٤، ١٥، ١٦ـ البكاء، الاستغاثة والتوسل إلى الله: في الدعاء الذي علّمه أميرالمؤمنينعليه السلام لكميل: «فبعزتك يا سيدي أُقسم صادقاً لئن تركتني ناطقاً لأَضجَنَّ إليك بين أهلها ضجيج الآملين، ولأصرخن إليك

١ـ دعاء كميل.

٢ـ دعاء الأسحار.

٣ـ دعاء الأسحار.

صراخ المستصرخين، ولأبكين عليك بكاء الفاقدين، ولأُنادينك أينَ كنت يا ولي المؤمنين، يا غاية آمال العارفين، يا غياث المستغيثين، يا حبيب قلوب الصادقين، ويا إله العالمين، أفتراك سبحانك يا إلهي وبحمدك، تسمع فيها صوت عبد مسلم سُجنَ فيها بمخالفته، وذاق طعم عذابها بمعصيته وهو يضج إليك ضجيجَ مؤمل لرحمتك، ويناديك بلسان أهل توحيدك، ويتوسلَ إليك بربوبيتك».

١٧ـ الفقر إلى الله: «يا الهي وسيدي ومولاي ومالك رقي، يا من بيده ناصيتي، يا عليماً بضرّي ومسكنتي، يا خبيراً بفقري وفاقتي.. أنا الصغير الذي ربيته، وأنا الجاهل الذي علمته، وأنا الضال الذي هديته، وأنا الوضيع الذي رفعته، وأنا الخائف الذي آمنته»[١].

«فإليك يا رب نصبت وجهي واليك يا رب مددت يدي»[٢].

١٨ـ الاستجارة بالله واللواذ بالله: «أجرنا من النار يا مجير»[٣].

«هذا مقام المستجير بك من النار.. وأنت جار من لاذ بك»[٤].

١ـ دعاء الأسحار، للإمام زين العابدينعليه السلام برواية أبو حمزة الثمالي.

٢ـ دعاء كميل.

٣ـ دعاء المجير.

٤ـ دعاء يستشير.

«وقد خضعت بالإنابة إليك ودعوت بالاستكانة لديك، فإن طردتني من بابك فبمن ألوذ وإن رددتني عن جنابك فبمن أعوذ»[1].

١٩ـ الفرار إلى الله: ﴿**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ**﴾[2].

٢٠ـ الاضطرار إلى الله: ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾[3].

٢١ـ الحياء من الله: في الدعاء الذي علّمه علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام إلى أبي حمزة الثمالي: «أنا يا رب الذي لم أستحيك في الخلاء، ولم أراقبك في الملأ، أنا صاحب الدواهي العظمى، أنا الذي على سيده اجترى، أنا الذي عصيت جبار السماء.. أنا الذي أمهلتني فما ارعويت، وسترت عليّ فما استحييت».

٢٢ـ التملّق إلى الله: في مناجاة الخائفين المرويّة عن علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام: «الهي أتراك بعد الإيمان بك تعذبني، أم بعد حبي إياك تبعدني، أم مع رجائي لرحمتك وصفحك تحرمني، أم مع إستجارتي بعفوك تسلمني، حاشا لوجهك الكريم أن تخيبني... الهي

١ ـ مناجاة التائبين.

٢ ـ الذاريات: ٥٠.

٣ ـ النمل: ٦٢.

هل تسوِّد وجوهاً خرّت لعظمتك ساجدة، أو تخرس ألسناً نطقت بالثناء على مجدك وجلالك، أو تطبع على قلوب إنطوت على محبتك، أو تصم أسماعاً تلذذت بسماع ذكرك، أو تغل أكفاً رفعتها الآمال إليك رجاء رأفتك.

الهي لا تغلق على موحديك أبواب رحمتك، ولا تحجب مشتاقيك عن النظر إلى جميل رؤيتك».

«يا الله لا تحرق وجهي بالنار بعد سجودي وتعفيري بغير منّ عليك بل لك الحمد والمنّ والفضل»[1].

٢٣ـ الالتماس والترجي: «الهي من الذي نزل بك ملتمساً قراك فما قريته، ومن الذي أناخ ببابك مرتجياً نداك فما أوليته»[2].

٢٤ـ تحسيس النفس بالتقصير: «هذا مقام من إعترف بسبوغ النعماء وقابَلها بالتقصير، وشهد على نفسه بالإهمال والتضييع. الهي تصاغر عند تعاظم آلائك شكري وتضاءَل في جنب إكرامك إياي

١ ـ دعاء الأسحار.

٢ ـ مناجاة الراجين.

ثنائي ونشري»[١].

«يا من يقبل اليسير ويعفو عن الكثير إقبل مني اليسير واعف عني الكثير»[٢].

«أفبلساني هذا الكال أشكرك أم بغاية جهدي في عملي أرضيك وما قدر لساني يا رب في جنب شكرك وما قدر عملي في جنب نعمك وإحسانك»[٣].

٢٥ـ الذكر: **﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾**[٤].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[٥].

٢٦ـ الأنس بالله: «وهب لي الأنس بك وبأوليائك وبأهل طاعتك، إجعل سكون قلبي وأنس نفسي وإستغنائي وكفايتي بك وبخيار

١ـ مناجاة الشاكرين.
٢ـ دعاء الأسحار.
٣ـ دعاء أبو حمزة للأسحار.
٤ـ الرعد: ٢٨.
٥ـ المنافقون: ٩.

خلقك»[١].

٢٧ـ الشوق إلى الله: «وامنن عليّ بشوق إليك، والعمل لك بما تحب»[٢].

هذه طائفة من العناصر التي تؤلف نسيج العلاقة بالله تعالى استخرجناها من نصوص القرآن والحديث والدعاء، و هذه الباقة بمجموعها تؤلف طيفاً زاهياً منسجماً ومتوازناً للعلاقة بالله تعالى.

وفيما يلي نحاول أن نشرح بعض مفردات هذه العناصر:

العبودية

العبودية لله هي الأساس في علاقة الإنسان بالله تعالى وبالكون والمجتمع، وهي التي تحدد مركز الإنسان في الكون والمجتمع، وقد أعطى الإسلام العبودية موقعاً مركزياً في حياة الإنسان وتفكيره ومواقفه.

فهي تنعكس إنعكاساً مباشراً وواضحاً على سلوك الإنسان وعلاقاته

١ـ الدعاء (٢١) من الصحيفة الكاملة للإمام زين العابدين عليه السلام.
٢ـ المصدر السابق.

ومواقفه وتصوراته، كما تنعكس على مشاعره وعواطفه، وحالة «العجب» في الإنسان من الحالات التي تتأثر بالعبودية سلباً وإيجاباً بصورة مباشرة.

فإذا إستقرت علاقة الإنسان بالله على أساس العبودية وما تستتبع من الانكسار والتضرع والتذلل بين يدي الله فسوف لا يملكه العُجْب ولا يكبر لديه «الأنا»، وتغلب عليه صفة العبودية حتى تكون الصفة البارزة في كل تحركاته وتصرفاته.

ولقد كانت صفة العبودية بارزة في رسول الله ﷺ حتى في طريقة جلوسه وكلامه، وكان يكره أن يتميز عن الآخرين في مجلس أو حركة. فعابت عليه ﷺ إمرأة كانت مشهورة بسوء الأدب هذه الخصلة، وقالت له ﷺ:«إنك لتأكل أكل العبد وتجلس جلوسه، فقال لها ﷺ (بعفويّة وبساطة): «إني عبد وأي عبد أعبد مني»[1].

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام في صفة رسول الله ﷺ:

«ولقد كان ﷺ يأكل على الأرض، ويجلس جلسة العبد، ويخصف بيده نعله، ويرقع بيده ثوبه، ويركب الحمار العاري، ويردف خلفه،

١ ـ الكافي ٦: ٢٧١ ح٢.

ويكون الستر على باب بيته فيكون فيه التصاوير فيقول يا فلانة غيبيه عني فإني إذا نظرت إليه ذكرت الدنيا وزخارفها، فأعرض عن الدنيا بقلبه، وأمات ذكرها من نفسه، وأحب أن تغيب زينتها عن عينه، لكيلا يتخذ منها رياشاً، ولا يعتقدها قراراً، ولا يرجو فيها مقاماً، فأخرجها من النفس، وأشخصها عن القلب، وغيّبها عن البصر. وكذلك من أبغض شيئاً أبغض أن ينظر إليه، وأن يذكر عنده..»[1].

ويحضرني من الشعر في صفة العبودية في الصالحين من عباد الله:

سمة العبيد من الخشوع عليهم
لله إن ضمتهم الأسحار
وإذا ترجّلت الضحى شهدت لهم
بيض القواضب أنهم أحرار[2]

وواضح أن للعبيد سمة متميزة واضحة في حركتهم وسكونهم ومأكلهم ومشربهم وملبسهم وكلامهم وسكونهم.

يحكى عن بعض العارفين الزهاد المشهورين أنه كان قبل أن يتوب

١ ـ نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٦٠.

٢ ـ ديوان السيد حيدر الحلي ١: ٣٥ من قصيدة يرثي بها الحسين عليه السلام.

من أهل الترف والبذخ، وكانت له ليال حمراء عامرة بالشرب والطرب، فمر الإمام موسى بن جعفرعليه السلام على داره ذات يوم ولفتت نظره ضجة الغناء والطرب والسكر فسأل عن صاحب البيت، فأجابته أمة من خادمات البيت، فسألها الإمام موسى بن جعفرعليه السلام: هو حرّ أم عبد؟ فلم تفهم الخادمة مغزى كلام الإمامعليه السلام وقالت: كيف يكون عبداً وهو يملك المئات من العبيد والإماء.

فقال لها الإمام: أجل لو كان «عبداً» لم يفعل هكذا، وذهب لشأنه، فسمع الرجل الحوار الذي جرى بين الإمام والخادمة، وفهم مغزى كلام الإمام، فأسرع في طلب الإمام فخشي أن لا يدرك الإمام فخرج حافياً حتى لحق الإمام، وتاب على يديه، فعرف بالحافي بعد ذلك، واشتهر أمره وذكره في العارفين والزاهدين.

والذي يقرأ سمات الشخصية الإسلامية في النصوص الإسلامية يجد أن صفة العبودية هي الصفة المحورية في الشخصية الإسلامية.

يقول أميرالمؤمنين علي بن أبي طالبعليه السلام في صفة المتقين: «عظم الخالق في أنفسهم، فصغر ما دونه في أعينهم. فهم والجنة كمن قد رآها، فهم فيها منعمّون، وهم والنار كمن قد رآها، فهم فيها معذبون. قلوبهم محزونة، وشرورهم مأمونة، وأجسادهم نحيفة، وحاجاتهم

خفيفة، وأنفسهم عفيفة، ..أمّا الليل فصافون أقدامهم، تالين لأجزاء القرآن، يرتلونها ترتيلا، يحزّنون به أنفسهم، ويستثيرون به دواء دائهم، وأما النهار فحلماء علماء أبرار أتقياء، قد براهم الخوف بري القداح، ينظر إليهم الناظر، فيحسبهم مرضى، وما بالقوم من مرض. ويقول لقد خولطوا ولقد خالطهم أمر عظيم.

فمن علامة أحدهم أنك ترى لهم قوة في دين، وحزماً في لين، وإيماناً في يقين، وحرصاً في علم، وقصداً في غنى، وخشوعاً في عبادة، وتجملا في فاقة، وصبراً في شدة، وطلباً في حلال، ونشاطاً في هدى وتحرجاً عن طمع..»[1].

الذِّكر

والذكر هو إستشعار العبودية وذلك بإستحضار صفات الله وأسمائه تعالى الحسنى. فعندما يستحضر الإنسان صفات الله وأسمائه الحسنى يحدد بشكل دقيق ـ في قلبه وعقله ـ موضعه الدقيق من الله تعالى، وهو موقع العبودية.

١ ـ خطبة المتقين، نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٩٣.

وفي كل ذكر إستحضار لصفة من صفات الله وأسمائه الحسنى، وفي كل إستحضار لصفات الله وأسمائه الحسنى وعي وتشخيص لموقع الإنسان من الله تعالى.

ولهذا السبب فإن في «الذكر» تركيزاً لعلاقة العبودية بالله تعالى، وهذه العلاقة تحدد الأنا وتضعه في موضعه الصحيح من العلاقة بالله تعالى.

فللذكر إذن دور تربوي مؤثر في مكافحة العُجْب، وفي مقابل ذلك «الغفلة» عن ذكر الله فإنها من مصادر العُجْب، وبقدر ما يغفل الإنسان عن ذكر الله يصيبه العُجْب، ولا شيء يؤدي إلى طيش الأنا وحَجْبه عن الله وطغيانه وتمرده على الله كالغفلة عن ذكر الله.

الشكر

الشكر من الوسائل المؤثرة في كسر شوكة «الأنا» وتعميق حالة العبودية وتعبيد الأنا لله تعالى؛ ذلك أن الشكر ينطوي على إحساس مزدوج بفقر الإنسان إلى الله تعالى وفضل الله عز شأنه على الإنسان.

وهذا الإحساس المزدوج يتكون من خط صاعد من الإنسان إلى الله، وهو خط الفقر وخط نازل من عند الله على عبده وهو خط الفضل

والرحمة والرزق.

ويصور القرآن على لسان موسى بن عمران﵇ هذا الإحساس المزدوج أروع تصوير ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾. والخط النازل من عند الله في هذه الآية هو «الخير»، والصاعد من العبد إلى الله هو الفقر، ويقع الإنسان بين هذا الفقر الصاعد من العبد إلى الله والخير النازل من الله على عباده.

وهذا الفقر الصاعد والخير النازل حالة دائمة مستمرة في حياة كل الناس، وإذا أنعم الإنسان النظر في هذا الكون عامة، وفي حياة الأحياء خاصة يجد هناك دائماً فقراً صاعداً من العبد إلى الله ورحمة هابطة من الله على العباد، الشاكرين منهم وغير الشاكرين. والشكر ناتج عن وعي هذا الفقر الصاعد والخير النازل.

روي أن داود سأل الله تعالى عن قرينه فأوحى الله إليه أنه متّى (والد) أبو يونس﵇، فجاء مع سليمان لزيارته فرآه إذ أقبل وعلى رأسه وفر من حطب فباعه واشترى طعامه ثم طحنه وعجنه وخبزه فأخذ لقمة وقال بسم الله فلما إزدردها قال الحمد لله ثم فعل ذلك بأخرى وأخرى، ثم شرب الماء فذكر إسم الله، فلما وضعه قال الحمد لله يا رب. من ذا الذي أنعمت عليه وأوليته مثل ما أوليتني، قد صححت

بصري، وسمعي وبدني، وقويتني، حتى ذهبت إلى شجر لم أغرسه، ولم أهتم لحفظه، جعلته لي رزقاً وسقت إلى من إشتراه مني، فاشتريت بثمنه طعاماً لم أزرعه، وسخرت لي النار، فأنضجته، وجعلتني آكله بشهوة أقوى بها على طاعتك، فلك الحمد، قال ثم بكى.

قال داود يا بني قم فانصرف بنا، فإني لم أر عبداً قط أشكر لله من هذا..[1].

ولهذا الوعي والإحساس دور كبير ومؤثر في كسر شوكة «الأنا»، وتعبيد الأنا لله تعالى، وتركيز حالة عبودية الأنا لله.

الشكر والسُّكر

وبعكس ذلك، عندما ينتفي هذا الوعي عند الإنسان يكبر الأنا، ويبرز ويحتلّ مساحة واسعة من حياته وشعوره ونفسه، وتختفي حالة العبودية. وهي حالة «السكر» في مقابل «الشكر». فإن الشكر هو الإحساس الواعي بفقر الإنسان إلى الله وحاجته إلى الله.

أما «السكر» فهو حالة معاكسة من طغيان الأنا، وإِحساسه بالغنى عن الله، وبروز الأنا والبطر والرئاء في حياة الإنسان.

١ ـ سفينة البحار ١: ٤٨٦.

و«الشكر» و«السكر» ينطلقان من رؤيتين مختلفتين تمام الاختلاف. فالشكر ينشأ من الإحساس بالفقر إلى الله، والسكر ينشأ من الإحساس الكاذب بالاستغناء عن الله.

والشكر حالة نابعة من التعلق والارتباط بالله، والسكر حالة ناشئة من الانقطاع والانفصال عن الله.

ومن عجب أن «الشكر» و«السكر» كلاهما ينشآن من النعمة؛ فإن النعمة إذا حلت في النفوس الواعية والمؤمنة تمخض عنها الشكر. وإذا حلت في النفوس الجاهلة والغافلة تمخض عنها السكر. ﴿**وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ لاَ يَخْرُجُ إِلاَّ نَكِدًا**﴾[1].

وأول ما نعرف من التعريف بعلاقة السكر بالنعمة في النصوص الإسلامية في كلام أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام... حيث يخاطب المسلمين العرب بعد أن فتح الله تعالى عليهم البلاد، وأغدق عليهم النعمة، وإنتعشت حياتهم الاقتصادية فيقول عليه السلام: «ثم إنكم معشر العرب أغراض بلايا قد إقتربت، فاتقوا سكرات النعمة واحذروا بوائق

١ ـ الأعراف: ٥٨.

النقمة..»[1]. ويقول عليه السلام أيضاً: «ذاك حيث تسكرون، من غير شراب من النعمة والنعيم»[2].

الشكر والدعاء

والشكر قرين الدعاء، ومع الشكر الدعاء، ومع الدعاء الشكر، فان أساس الدعاء هو الشعور بفقر الإنسان إلى فضل الله تعالى، وهذا الوعي لحاجة الإنسان وفقره إلى فضل الله تعالى ورحمته هو أساس الطلب والسؤال من الله تعالى في الدعاء من جانب، وأساس الشكر من جانب آخر، إذا عرف الإنسان أن كل نعمة عليه من عند الله.

فالدعاء إذن بشكله الصحيح والواعي يتطلب إحساساً واعياً وعميقاً بالفقر والحاجة إلى فضل الله ورحمته.

والشكر يقوم على أساس وعي هذين الأمرين معاً: وعي الفقر الصاعد ووعي الرحمة النازلة.

ولذلك نجد أن الأدعية تبتدئ غالباً بالحمد والشكر والتذكير بنعم الله تعالى وفضله ورحمته على عباده.

---

١ ـ نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٥١.

٢ ـ نهج البلاغة، الخطبة رقم: ١٨٧.

المقارنة بين النُسُغ الصاعد والنازل في العلاقة بالله تعالى

ومن الوسائل النافعة في الكف من غلواء «الأنا»، وتعبيده لله تعالى هو المقارنة بين العمل الصاعد من العبد إلى الله تعالى والرحمة النازلة من لدن الله تعالى على عبده.

فإذا انعم الإنسان النظر في هذه المقارنة إمتلأت نفسه بإحساس عميق بالحياء من الله تعالى لما صدر منه. ويختفي الأنا في نفسه ويضمر، ويبرز في نفسه الإحساس بالحياء من الله والشعور بعظم فضل الله تعالى ورحمته عليه. وهو من أهم العوامل النفسية في كف غلواء الأنا في العلاقة بالله تعالى.

وقد كان أحد الصالحين يعبر عن هذا المعنى، بهذه الكلمة المؤثرة «اللّهم نستغفرك مما نرفعه إليك، ونحمدك على ما تنزله علينا».

وقد ورد ذكر هذا المعنى في النصوص الإسلامية كثيراً. ففي دعاء «الافتتاح» المروي عن الإمام الحجّة المهدي عجل الله فرجه، والذي يألف المؤمنون قراءته في ليالي شهر رمضان.

«الحمد لله الذي يجيبني حين أُناديه، ويستر عليَّ كل عورة وأنا أعصيه، ويعظِّم النعمة عليّ فلا أجازيه».

وأيضاً ورد في نفس الدعاء: «فلم أرَ مولىً كريماً أصبرَ على عبد لئيم منك علي يا رب إنك تدعوني، فأُولّي عنك، وتتحبّب اليّ، فأتبغّض إليك، وتتودّد اليّ، فلا أقبل منك. كأنّ لي التطوّل عليك. فلم يمنعك ذلك من الرحمة بي والإحسان اليّ والتفضل عليّ بجودك وكرمك».

وتأملوا في هذه الفقرات من دعاء أبي حمزة «الحمد لله الذي أدعوه فيجيبني، وإن كنت بطيئاً حين يدعوني، والحمد لله الذي أسأله فيعطيني، وإن كنت بخيلا حين يستقرضني، والحمد لله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي وأخلو به حيث شئت لسري بغير شفيع فيقضي لي حاجتي.. أنت المحسن، ونحن المسيئون، فتجاوز يا رب عن قبيح ما عندنا بجميل ما عندك. يا غفار بنورك إهتدينا، وبفضلك إستغنينا، وبنعمتك أصبحنا وأمسينا. ذنوبنا بين يديك نستغفرك اللّهم منها، ونتوب إليك، تتحبب إلينا بالنعم، ونعارضك بالذنوب. خيرك إلينا نازل، وشرنا إليك صاعد. ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنا بعمل قبيح، فلا يمنعك ذلك من أن تحوطنا بنعمك، وتتفضل علينا بآلائك. فسبحانك ما أحلمك، وأعظمك، وأكرمك.

سيدي أنا الصغير الذي ربيته، وأنا الجاهل الذي علمته، وأنا الضال

الذي هديته، وأنا الوضيع الذي رفعته، وأنا الخائف الذي آمنته، والجائع الذي أشبعته، والعطشان الذي أرويته، والعاري الذي كسوته، والفقير الذي أغنيته، والضعيف الذي قوّيته، والذليل الذي أعززته، والسقيم الذي شفيته، والسائل الذي أعطيته، والمذنب الذي سترته، والخاطئ الذي أقلته، وأنا القليل الذي كثرته، والمستضعف الذي نصرته، وأنا الطريد الذي آويته» وهذا هو النُسُغ النازل من الله.

وأما النُسُغ الصاعد من العبد إلى الله: «أنا يا رب الذي لم أستحيك في الخلاء، ولم أراقبك في الملاء. أنا صاحب الدواهي العظمى، أنا الذي على سيده إجترى، أنا الذي عصيت جبّار السماء، أنا الذي أُعطيتُ على معاصي الجليل الرشا. أنا الذي حين بُشِّرتُ بها خرجت إليها أسعى.. لا أدري أعجب من جرأتي وعدم حيائي أم من حلمك ورأفتك..».

والنُسُغ الصاعد النازل «أنا الذي أمهلتني فما ارعويت، وسترت عليّ فما استحييت، وعملت بالمعاصي فتعديت، وأسقطتني من عينك فما باليت..».

وروى المفيد عن عمر بن محمد المعروف بإبن الزيات عن علي بن مهرويه القزويني، عن داود بن سليمان، عن الرضا عليه السلام عن آبائه عليهم السلام:

«قال رسول الله ﷺ: يقول الله عزّوجل: يا بن آدم ما تنصفني أتحبّب إليك بالنعم، وتتبغض اليّ بالمعاصي، خيري إليك نازل، وشرك اليّ صاعد، أفي كل يوم يأتيني عنك ملَك كريم بعمل غير صالح، يا بن آدم لو سمعت وصفك من غيرك، وأنت لا تدري من الموصوف لسارعت إلى مقته»[1].

ﷻ

١ ـ آمالي الطوسي ١: ١٢٦، بحار الأنوار ٧٣: ٣٦٥.

ب ـ في علاقة الأنا بنفسه

إزدراء الأنانية:

كلما يطلق الإنسان لنفسه العنان، ويعطيه حاجته من البروز والظهور والنفوذ والتميز على الآخرين يزداد أنانية وشرهاً وحرصاً. وقد روي عن رسول الله ﷺ: «حسب أمرئ من الشر أن يشير الناس إليه بالأصابع في دينه ودنياه إلا من عصمه الله»[1].

وقد كان رسول الله ﷺ يحرص أن يؤدّب أصحابه على أن لا يطلقوا لأنفسهم العنان في حب الهيمنة والظهور والبروز. روي عن جابر بن عبد الله الأنصاري رحمه الله. قال: «إستأذنت على النبي ﷺ. فقال: من هذا؟ فقلت: أنا. فقال النبي ﷺ: أنا أنا..»[2].

وفي النصوص الإسلامية يرد كثيراً إبراز وجه البشاعة في الأنا، وإزدراء حالة الأنانية في الإنسان.

عن أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «ما لإبن آدم والفخر،

---

١ ـ إحياء العلوم ٣: ٢٧٥.

٢ ـ صحيح مسلم٣: ١٦٩٧.

أولّه نطفة وآخره جيفة، لا يرزق نفسه ولا يدفع حتفه»[1] وفي كلمة أخرى: «أولّه نطفة قذرة، وآخره جيفة قذرة، وهو بين ذلك يحمل عذرة»[2].

ترويض النفس:

ولكبح جماح «الأنا» و«الهوى» ورد في النصوص الإسلامية تأكيد كثير على التضييق على النفس «الهوى والأنا» والتشدّد في التعامل معها وترويضها.

فإن النفس جموحة، وكلما أرسل الإنسان لها العنان يزداد جماحها، وكلما يضيّق الإنسان عليها، ويتشدد في التعامل معها تتعدل وتنقاد وتنضبط. والنصوص الإسلامية في ترويض النفس وتطويعها كثيرة. وهذه النصوص إذا جمعت ونظمت تتكون منها مدرسة كاملة في تهذيب النفس وتربيتها. يقول أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: «وإنما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر،

---

١ ـ نهج البلاغة، شرح صبحي الصالح،حكمة رقم ٤٥٤.

٢ ـ غرر الحكم للآمدي.

وتثبت على جوانب المزالق»[1].

وترويض النفس في الحلال يُمَكِّن الإنسان منها في الحرام، وإرسال العنان لها في الحلال يعجز صاحبها عنها في الحرام. يقول أميرالمؤمنينعليه السلام: «وأيم الله يميناً، أستثني فيها بمشيئة الله أروض نفسي رياضة تهش معها إلى القرص إذا قدرت عليه مطعوماً، وتقنع بالملح مأدوماً.. أتمتلئ السائمة من رعيها فتبرك، وتشبع الربيضة من عشبها فتربض، ويأكل عليٌّ من زاده فيهجع. قرّت اذاً عينه إذا إقتدى بعد السنين المتطاولة بالبهيمة الهاملة والسائمة المرعية»[2].

إن السائمة تمتلئ من عشبها فتشبع، ويشبع الإنسان من طعامه كما يحب ويشتهي فيشبع، فماذا يكون الفرق بين هذا وذاك؟ وترسل السائمة لنفسها العنان فيما تشتهي، ويرسل الإنسان لنفسه العنان فيما يحب، فبماذا يفترق هذا عن ذاك؟ إن الفرق ـ في مدرسة عليّعليه السلام ـ بين هذا وذاك: أن الإنسان يملك أزمّة نفسه فيما يحب ويشتهي، ويكفّها عما تحب وترغب، ويتمكن من نفسه، وتنقاد له دون البهيمة.

١ ـ نهج البلاغة: الخطبة رقم: ٤٥.

٢ ـ المصدر السابق.

ولكي تنقاد للإنسان نفسه وتطيعه لابدّ أن يروضها، ويضيّق عليها، ويتعبها فيما تحب من الحلال، حتى يتمكن منها فيما يزجرها عنه من الحرام.

ولكي تنقاد له نفسه فيما يأمرها مما تكرهه نفسه، وتشق عليها كالجهاد والصيام ويمنعها سؤلها فيما تحب كالطيبات المباحة. يقول أميرالمؤمنينعليه السلامعن ذلك في خطبة المتقين لهمام: «إن إستصعبت عليه نفسه فيما تكره لم يعطها سؤلها فيما تحب».

وهذا المنهج التربوي الذي يشرح الإمام أصوله وقوانينه لا يدخل في الحلال والحرام، فليس يجب على الإنسان أن يمنع نفسه مما تحب من الحلال، ولا يحرم على الإنسان أن يتمتع بما أحل الله من الحلال. وهذا واضح، ومؤكد، ولا نقاش فيه. ولكن من يريد أن يمسك أزمة نفسه، ويلجمها في الحرام عليه أن يروض نفسه، ويقهرها ليتمكن منها في الحرام.

يقول أميرالمؤمنينعليه السلام: «إمرءٌ لجم نفسه بلجامها وزمّها بزمامها، فأمسكها بلجامها عن معاصي الله، وقادها بزمامها إلى طاعة الله»[1].

١ ـ نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢٣٥.

و«اللجام» و«الزمام» هو الذي يمكّن راكب الفرس من أن يقودها ويوجهها.

والإنسان يتمكن من نفسه بأمرين إثنين معاً، تقوية الإرادة وقهر النفس. أمّا إذا ضعفت إرادته وجمحت نفسه فسوف لا يستطيع أن يضبطها وشهواتها عند حدود الله.

وهذا الترويض والتضييق والتشدّد وإن كان في الغالب للهوى، إلا أنه ينعكس على «الأنا» إنعكاساً إيجابياً فيخفف من غلوائه، ويضبطه ويكبح جماحه، ويكفكف من طغيانه وتطرفه.

محاسبة النفس ونقدها:

وهي حالة نافعة في كسر شوكة الأنا وتحجيمه وتحديده. فإن الإنسان إذا وضع نفسه «الهوى والأنا» تحت مجهر النقد الدقيق، وأخضعها للحساب سرعان ما يكشف نقاط الضعف فيها، فتضمر عنده حالة الأنانية وينشغل الإنسان بعيوبه، ونقاط الضعف في نفسه، عن «الأنا» وحب البروز والشهرة، كما ينشغل بنفسه عن الاهتمام بعيوب الآخرين.

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «إذا رأيتم العبد متفقداً لذنوب

الناس، ناسياً لذنوبه فاعلموا أنه قد مُكِرَ به»[١].

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن أسرع الخير ثواباً البر، وأسرع الشر عقاباً البغي، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه، وأن يعيّر الناس بما لا يستطيع تركه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه»[٢].

وفي مقابل ذلك ينهى القرآن عن تزكية النفس وتبرأتها من نقاط الضعف يقول تعالى: ﴿**فَلا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**﴾[٣].

ويقول تعالى: ﴿**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُمْ بَلِ اللّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاء وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً * انظُرْ كَيفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللّهِ الكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا**﴾[٤].

ومن المزالق التي تواجه الإنسان تزكية الآخرين له، فإنها تَغرُّ الإنسان، وتخدعه، وتوحي إليه بالبراءة والنزاهة. ومن هذه الثغرة يدخل الشيطان في نفسه، ويدخل العجب إلى نفسه.

---

١ ـ البحار ٧٥: ٢١٥.

٢ ـ المصدر السابق.

٣ ـ النجم: ٣٢.

٤ ـ النساء: ٤٩ ـ ٥٠.

ولـذلك فـإن الـواعين مـن المـؤمنين كـانوا يتحسّسـون مـن التزكيـة والمــدح، ويتخوفــون منــه، ويشــعرون بــالخطر مــن ناحيتــه. يقــول أميرالمؤمنينعليه السلام في وصف المتقين «ولا يرضون من أعمـالهم بالقليـل، ولا يستكثرون الكثير، فهم لأنفسهم متهمون، ومـن أعمـالهم مشـفقون، وإذا زُكي أحدهم خاف مما قيل له، ويقول أنا أعلم بنفسي من غيـري، وربي أعلم مني بنفسي. اللّهم لا تؤاخذني بما يقولون. واجعلني أحسـن مما يظنون، واغفر لي ما لا يعلمون»[1].

وفـي مقابـل تزكيـة الـنفس وتبرأتهـا ورد التأكيـد فـي النصـوص الإسلامية التدقيق في ملاحقة النفس وأعمالهـا ونقـدها نقـداً موضـوعياً دقيقـاً وصـارماً. فـإن الإنسـان لـو عـرض أعمالـه لنقـد موضـوعي دقيـق وصارم لا يجد أن شيئاً من عمله قد سـلم لـه إلا القليـل، فتضـعف ثقتـه بنفسه وأعماله، وتعظم في مقابل ذلك ثقته برحمة الله تعالى وفضله.

روي عن أميرالمؤمنين علي بن أبي طالـبعليه السلام: «الـدنيا كلهـا جهـل إلا مواضع العلم، والعلم كله حجة إلا ما عمل به، والعمل كله رياء، إلا ما كان مخلصاً، والإخلاص على خطر عظيم، حتى ينظر العبد ما يختم

١ ـ نهج البلاغة: خطبة المتقين.

له»[1].

وتوضيح الرواية: أن قيمة العمل بالعلم والوعي والمعرفة، فـلا قيمـة لعمل يأتي به الإنسان عن جهل.

وكل علم حجة ضد الإنسان يحتج بـه الله تعـالى علـى عبـده إلا إذا عمل الإنسان بالعلم.

فلا قيمة للعمل مـن غيـر علـم... والعلـم حجـة ضـد الإنسـان إلا إذا عمل بموجبه الإنسان.

وكل عمـل حتـى لـو كـان عـن علـم ومعرفـة لا قيمـة لـه مـن دون الإخلاص لله فإن قيمة العمل بالإخلاص، كما أن قيمته بالعلم والمعرفة.

والإخلاص على خطر عظيم، فلا يعلم الإنسان كيـف يخـتم حياتـه وأين يتربص به الشيطان، والإنسان ضعيف، والحياة منزلق خطر، إذا لـم يعصم الله تعالى الإنسان، والله العاصم.

والمؤمن الـواعي ظنـون بنفسـه، يضـع نفسـه دائمـاً موضـع الاتهـام، ويحرج نفسه كثيراً في المحاسبة والتدقيق. وهو في الوقت الذي يحسن الظن بالناس يسيء الظن بنفسه.

١ ـ بحار الأنوار ٢: ٢٩.

يقول أميرالمؤمنين عليه السلام: «واعلموا عباد الله أن المؤمن لا يصبح ولا يمسي إلا ونفسه ظنون عنده، فلا يزال زارياً عليها ومستزيداً بها»[1].

عدم الخروج من حدود التقصير:

من ثغرات الضعف التي يدخل منها «العجب» إلى نفس الإنسان هو إستكثار العمل وإستقلال الذنوب.

والإنسان إذا لم يوجّه نفسه توجيهاً صحيحاً يميل إلى إستكثار ما يفعله من عمل صالح قليل والى إستقلال ما إرتكبه من سيئات وذنوب.

وهذا الاستكثار والاستقلال هو مدخل من أعظم مداخل الشيطان إلى نفس الإنسان. ونقطة ضعف يدخل منها العجب إلى نفس الإنسان.

ووردت إشارات وتنبيهات كثيرة في النصوص الإسلامية إلى خطورة هذا التصور. روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «أربعة في الذنب شر من الذنب الاستحقار، والافتخار، والاستبشار، والإصرار»[2].

وعن علي عليه السلام: «أشد الذنوب ما استهان به صاحبه»[3].

---

١ ـ نهج البلاغة، الخطبة رقم: ٢١١.

٢ ـ مستدرك الوسائل للنوري ١١: ٣٤٩.

٣ ـ نهج البلاغة ٤: ٨١ حكمة ٣٤٨.

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل ليتني لا أؤاخذ إلا بهذا»[1].

وعن أبي جعفر الباقر عليه السلام: «إياكم ومحقرات الذنوب فإن لها من الله طالباً. وإنها لتجتمع على المرء حتى تهلكه»[2].

وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام: «اتقوا المحقرات من الذنوب فإنها لا تغفر. قال الراوي: وما المحقرات من الذنوب؟. قال عليه السلام: الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبى لي لو لم يكن لي غير ذلك»[3].

وعن الصادق عليه السلام: «إن الله يحب العبد أن يطلب إليه في الجرم العظيم ويبغض العبد أن يستخف بالجرم اليسير»[4].

في مناهي رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: « لا تحقروا شيئاً من الشر، وإن صغر في أعينكم، ولا تستكثروا الخير، وإن كثر في أعينكم، فإنه لا كبير مع الاستغفار ولا صغير مع الإصرار»[5].

---

١ ـ ميزان الحكمة ٢: ٩٩٠.

٢ ـ وسائل الشيعة ١٥: ٣١٣.

٣ ـ الكافي ٢: ٢٨٧ باب إستصغار الذنب، ح١.

٤ ـ المحاسن: ٢٩٣، بحار الأنوار ٧٣: ٣٥٩.

٥ ـ أمالي الصدوق: ٢٦٠.

وعن أبي محمد(عليه السلام) قال: «من الذنوب التي لا تغفر (قول الرجل) ليتني لم أؤاخذ إلا بهذا، ثم قال(عليه السلام) الإشراك في الناس أخفى من دبيب النمل على المِسح الأسود في الليل المظلمة»[1].

وعن أبي هاشم الجعفري، قال سمعت أبا محمد(عليه السلام) يقول: «من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل ليتني لم أؤاخذ إلا بهذا. فقلت في نفسي: إن هذا لهو الدقيق، ينبغي للرجل أن يتفقد من أمره ومن نفسه كل شيء فاقبل عليّ أبو محمد(عليه السلام) قال يا أبا هاشم صدقت فالزم ما حدثت به نفسك. فإن الإشراك في الناس أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء ومن دبيب الذر على المسح الأسود»[2].

وعن الإمام الباقر(عليه السلام): «ثلاث قاصمات الظهر: رجل إستكثر عمله، ونسى ذنوبه، وأعجب برأيه»[3].

وفي رواية يقول إبليس: «إذا أستمكنت من بني آدم في ثلاث لم أُبال ما عمل، فإنه غير مقبول منه، إذا إستكثر عمله، ونسي ذنبه، ودخله

١ ـ تحف العقول: ٤٨٧.

٢ ـ البحار٧٣: ٣٥٩.

٣ ـ وسائل الشيعة ١: ٩٨ ح٦.

العجب»[1].

تحسيس النفس بالتقصير:

وفي النصوص الإسلامية تأكيدات كثيرة على ضرورة تحسيس النفس بالتقصير في العمل، وتعميق الإحساس بالتقصير في طاعة الله تعالى وعبادته، ومهما كان عمل الإنسان أكثر ينبغي أن يكون إحساسه بالتقصير أكثر.

عن الفضل بن يونس عن أبي الحسن(عليه السلام) قال: «أكثر من أن تقول اللّهم لا تجعلني من المعارين، ولا تخرجني من التقصير قال: قلت: أمّا المعارون فقد عرفت أن الرجل يعار الدين ثم يخرج منه فما معنى لا تخرجني عن التقصير؟ فقال(عليه السلام): كل عمل تريد به الله عزّوجل فكن فيه مقصراً عند نفسك، فإن الناس كلهم في أعمالهم فيما بينهم وبين الله مقصرون إلا من عصمه الله عزّوجلّ»[2].

عن موسى بن جعفر(عليه السلام) لأحد أولاده: «يا بنيَّ عليك بالجد، لا تخرجن نفسك من حد التقصير في عبادة الله وطاعته فإن الله لا يعبد

١ ـ المصدر السابق ح٧.

٢ ـ الكافي ٢: ٧٣ ح٤، باب الاعتراف بالتقصير، والمعار على البناء للمفعول من الإعارة.

حق عبادته»[1].

وعن الباقر عليه السلام: «يا جابر لا أخرجك الله من النقص ولا التقصير»[2].

وعن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: «إن رجلا في بني إسرائيل عبد الله أربعين، ثم قرب قرباناً فلم يقبل منه، فقال لنفسه: ما أتيت إلا منكَ ولا أكديت إلا لكَ. قال عليه السلام، فأوحى الله تبارك وتعالى إليه: ذمك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة»[3].

والخروج عن دائرة التقصير يدخل الإنسان في مهالك عظيمة، فإن الإنسان إذا خرج عن دائرة الإحساس بالتقصير يدخل في دائرة المَنِّ على الله تعالى.

وقيمة العبادة أنها تكسب الإنسان الذل بين يدي الله تعالى. فإذا تحولت إلى أداة لتحسيس الإنسان بالمن على الله، فقدت قيمتها، وانقلبت إلى ضدها، فليس بين الإحساس بالتقصير والإحساس بالمن برزخ ليس بهذا ولا ذاك. والإحساس بالمن من الكفر لأنه من

١ ـ الكافي ٢: ٧٢ ح١، باب الاعتراف بالتقصير.
٢ ـ المصدر السابق ح٢.
٣ ـ المصدر السابق ح٣.

الاستعلاء على الله والاستكبار على الله. يقول تعالى: ﴿**يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لاَّ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[1]. ﴿**لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ**﴾[2]. ﴿**وَلا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ**﴾[3]. وقد ورد التأكيد على أهمية الإحساس بالتقصير حتى لو كان هذا التقصير نابعاً عن الذنب.

«أوحى الله إلى داود: بشر المذنبين وأنذر الصديقين. قال كيف أبشر المذنبين وأنذر الصديقين؟ قال تعالى يا داود بشر المذنبين أني أقبل التوبة وأنذر الصديقين أن لا يعجبوا بأعمالهم فليس عبد أنصبه الله للحساب إلا هلك»[4].

وعن الصادق عليه السلام: «إن كان الممر على الصراط حقاً فالعجب لماذا»[5].

١ ـ الحجرات: ١٧.
٢ ـ البقرة: ٢٦٤.
٣ ـ المدثر: ٦.
٤ ـ البحار ٧٢: ٣١٣.
٥ ـ البحار ٧٢: ٣١٤.

وإذا أحب الله عبداً يسلبه أحياناً توفيق العبادة حتى يسلم له شعوره بالتقصير ولا يغزوه الشيطان من ثغرة العجب والغرور.

عن رسول الله ﷺ عن الله تعالى: «أنا أعلم بما يصلح به أمر عبادي، وأن من عبادي المؤمنين لمن يجتهد في عبادته فيقوم من رقاده ولذيذ وساده، فيجتهد، ويتعب نفسه في عبادتي، فأضربه بالنعاس الليلة والليلتين نظراً مني له، وإبقاءً عليه، فينام حتى يصبح فيقوم ماقتاً لنفسه زارياً عليها، ولو أُخلي بينه وبين ما يريد من عبادتي لدخله من ذلك العجب بأعماله فيأتيه ما فيه هلاك لعجبه بأعماله ورضاه عن نفسه، حتى يظن أنه قد فاق العابدين وجاز في عبادته حدّ التقصير، فيتباعد مني وهو يظن أنه تقرب اليّ»[1].

وعن الباقرين عليهما السلام: أن الله تبارك وتعالى يقول: إن من عبادي من يسألني الشيء من طاعتي لأحبّه فأصرف ذلك عنه لكيلا يعجبه عمله»[2].

---

١ ـ البحار ٧٢: ٣٢١.

٢ ـ البحار ٧١: ٢٣١.

سيئة تسوؤك خير من حسنة تعجبك

قد يرتكب الإنسان سيئة فتسوؤه، ويملكه الندم، ويحاسب نفسه بها، ويضع نفسه بسبب ذلك موضع المحاسبة والنقد والتجريح. ويرتكب حسنة فتسره ويعجب بها وتمتلئ نفسه زهواً وإعجاباً... فتكون تلك السيئة التي ساءته خيراً له من تلك الحسنة التي أعجبته.

فإن تلك السيئة وضعته موضع التقصير، وحسسته بالندم، وأشعرته بذل التقصير بين يدي الله، وهذه الحسنة ملأت نفسه بالعجب والزهو.

عن الصادق عليه السلام: «إن الرجل ليذنب الذنب، فيندم عليه، ويعمل العمل، فيسرّه ذلك، فيتراخى عن حاله تلك. فلأن يكون على حاله تلك خير له مما دخل فيه».

وعن عبد الرحمن بن الحجاج قال: «قلت لأبي عبد الله الرجل يعمل العمل وهو خائف مشفق ثم يعمل شيئاً من البر فيدخله شبه العجب فقال هو في حاله الأوّل، وهو خائف أحسن منه حالا في حال عجبه»[1].

وعن الصادق عليه السلام: «يدخل رجلان أحدهما عابد والآخر فاسق

---

١ ـ الحديثان في البحار ٧٢: ٣١١ و ٣١٢.

فيخرجان من المسجد والفاسق صديق والعابد فاسق، وذلك أنه يدخل العابد المسجد، وهو مُدِلٌّ بعبادته، ويكون فكره في ذلك، ويكون فكرة الفاسق في التندم على فسقه فيستغفر الله من ذنوبه»[١].

وعن علي عليه السلام: «سيئة تسوءُك خير عند الله من حسنة تعجبك»[٢].

وعن علي عليه السلام: «ضاحك معترف بذنبه خير من باك مدل على ربه»[٣].

ᘓᘐ

---

١ ـ البحار ٧٢: ٣١٦.

٢ ـ نهج البلاغة، الحكمة رقم: ٤٦.

٣ ـ البحار ٧٧: ٤٢١.

الفهرس

الأعداد المطبوعة من سلسلة الثقافة الإسلامية

١ ــ كيف نقرأ القرآن.

٢ ــ الاجتهاد والحياة، حوار على الورق.

٣ ــ حوارات وإثارات حول المرجعية والفقاهة .

٤ ــ سلطات الفقيه وصلاحياته في عصر الغيبة.

٥ ــ الانتظار الموجه.

٦ ــ الغربة والاغتراب.

٧ ــ مشروع الوحدة الإسلامية ثقافيا واجتماعيا.

٨ ــ خطاب الاستنصار الحسيني من المدينة إلى كربلاء.

٩ ــ شروط العمل وساحاته.

١٠ ــ دروس عن الثقافة الإدارية والقيادية في الإسلام.

١١ ــ العلاقة مع إسرائيل.

١٢ ــ وقفة مع الدكتور الشيخ البرّاك استاذ جامعة ام القرى بمكّة المكرّمة.

١٣ ــ أدب التعامل مع الخطاب الإلهي.

١٤ ــ الفئات المعارضة لخروج الحسين عليه السلام.

١٥ ــ مناقشة الفهم الآخر لعاشوراء.

١٦ ــ حضور القلب في الصلاة.

١٧ــ الشعائر والشعارات الحسينية (القسم الأول).

١٨ــ الشعائر والشعارات الحسينية (القسم الثاني)

١٩ــ اللّقاء بين الحوزة والجامعة.

٢٠ ــ لبيك داعي الله.

من منشورات مجمع أهل البيت عليهم السلام ـ العراق

مطبعة مجمع أهل البيت عليهم السلام ـ العراق / النجف الأشرف